جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي–
كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير
قسم: علوم التسيير

مطبوعة موجهة إلى طلبة السنة الأولى LMD

من اعداد:
د. خالد علي

السنة الجامعية: 2018-2019.

مقدمـــــــــــــة..... 2

الفصـــل الأول: علم الاجتماع، نشأته، ماهيته، فروعه، فوائده.

لماذا ندرس علم الاجتماع..... 3
ماهية علم الاجتماع..... 6
نشأة علم الاجتماع..... 8
فروع وميادين علم الاجتماع..... 10
فوائد علم الاجتماع..... 11

الفصل الثاني: علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى.

علاقة علم الاجتماع بعلم الاقتصاد..... 14
علاقة علم الاجتماع بعلم السياسة..... 14
علاقة علم الاجتماع بعلم التاريخ..... 15
علاقة علم الاجتماع بعلم النفس..... 15
علاقة علم الاجتماع بعلم الأنثروبولوجيا..... 16
علاقة علم الاجتماع بالجغرافيا:..... 16
علاقة علم الاجتماع بالإدارة:..... 17
علاقة علم الاجتماع باللغة:..... 17
علاقة علم الاجتماع بالقانون:..... 18
علاقة علم الاجتماع بالخدمة الاجتماعية:..... 18

الفصل الثالث: رواد علم الاجتماع (المؤسسون).

عبد الرحمان بن خلدون..... 20
أوغست كونت..... 24
إميل دوركايم..... 28
ماكسيميليان كارل إميل فيبر..... 31
كارل ماركس..... 35
هربرت سبنسر..... 38

الفصـــل الرابع: نظريات علم الاجتماع

النظرية الوضعية..... 40
النظرية الوظيفية الكلاسيكية..... 41
نظرية الفعل الاجتماعي..... 42
النظرية الماركسية:..... 44
النظرية الصراعية:..... 45
النظرية التفاعلية الرمزية: 45

الفصل الخامس: النظم الاجتماعية

تعريف النظام الاجتماعي:..... 46
خصائص النظام الاجتماعي:..... 46
وظائف النظم الاجتماعية:..... 47
عناصر النظام الاجتماعي:..... 47
أنواع النظم الاجتماعية:..... 48

الفصل السادس: العمليات الاجتماعية والثقافية

التعاون:..... 56
المنافسة:..... 56
التوافق الاجتماعي..... 57
التغير الاجتماعي..... 59
أهمية الجماعة بالنسبة للفرد في نموه الاجتماعي:..... 60
أهمية الجماعة بالنسبة للمجتمع:..... 61
معايير الجماعة:..... 61
أنواع الجماعات الاجتماعية:..... 61
المنظمات الاجتماعية:..... 63
الجماعة المرجعية:..... 63
المجتمع المحلي..... 64
الجماعات الاجتماعية غير البنيوية..... 65
العلاقات الاجتماعية في الجماعات..... 66

تهدف هذه المادة إلى تزويد الطالب بنظرة عامة عن علم الاجتماع، كتعريفه، نشأته، وعلاقته بالعلوم الأخرى. واعطائه فكرة عن أهم التطورات والتغيرات النظرية والمنهجية التي طرأت على هذا العلم. إضافة إلى عرض لأهم أعلامه، وهذا يشمل البيئة التي عاشوا فيها وأفكارهم وأثرهم واسهاماتهم في تطويره. اضافة إلى أهم نظرياته، والموضوعات التي يهتم بدراستها. وقد تم تكييف ماء جاء في هذه المطبوعة وفقا للبرنامج الوزاري لنظام LMD.

مقدمة:

علم الاجتماع من بين أطرف الدراسات الاجتماعية وأكثرها جذباً للقارئ، إلاّ أنّه ليس بأبسطها في الفهم والدراسة، ذلك أنّ العلاقات الإنسانية من أكثر الظواهر تعقيداً. إضافة إلى أنّ أهم جوانب العلاقات الإنسانية ليس ظاهرًا للعيان، وغير واضح وضوحاً تاماً، كما أنّ بعض جوانب تلك العلاقات لا يمكن ملاحظتها مباشرة. والنسق الاجتماعي هو أهم وحدات الدراسة في علم الاجتماع، هذا النسق يتكون من مجموعة من الناس يعيشون معاً، ويشتركون في واحد أو أكثر من الأنشطة. ويرتبطون ببعضهم البعض بروابط وصلات معينة (رابط ديني، عرقي، لغوي، قومي،...الخ)، وقد يكون هذا النسق صغيراً، كأن يتكون من زوجين، وقد يكون كبير الحجم (مؤسسة كبيرة أو جيش)، وبعض الأنساق لا تدوم إلاّ لحظات عابرة (تجمع الناس حول حادث في الطريق)، وبعضها يستمر عبر أجيال وقرون طويلة (قبائل الغجر).

وكل نسق اجتماعي يخلق عدداً من الوقائع أو الأحداث الاجتماعية (الظواهر الاجتماعية)، وهي أشكالُ أو أنماطُ منتظمة (متكررة الحدوث) من السلوك يفرضها هذا النسق على الأفراد المنتمين إليه، وفي حالة النسق الاجتماعي الكبير تنشأ الملايين من الأحداث الاجتماعية، التي يهتم علم الاجتماع بدراستها. ومن البديهي أنّ هذا الكم الهائل من الأحداث لا يمكن دراسته دفعة واحدة، فيكون من الضروري تقسيمه إلى فئات أصغر، فتتم دراسة الوقائع المتصلة بالسكان والمدن، الطبقات الاجتماعية، التنظيمات، العمل، الجريمة، الانتحار، الحرب، ... الخ. وهذا التصنيف من هذا النوع يمثل موضوع أو ميدان الدراسة في علم الاجتماع.

ومن الطبيعي أن يكون أوّل سؤال يُثار حول هذا العلم، هو مدى اعتباره علماً مستقلاً بذاته، وهل تتوافر فيه شروط العلم المستقل. إنّ الإجابة على هذه الأسئلة تقتضي منّا البحث في موضوع هذا العلم ومنهجه، والتعرف على قوانينه ونظرياته. فموضوع علم الاجتماع هو الظواهر الاجتماعية، التي هي ضرب من السلوك الإنساني تمارس ضغطا على الافراد. هذه الظواهر سلَكَ علم الاجتماع خطوات المنهج العلمي في معالجتها، مستخدماً أهمّ مناهج البحث العلمي (المنهج التاريخي، المنهج المقارن، المسح الاجتماعي، القياس الاجتماعي، المنهج الاحصائي)، مستعينا بالمنهج التجريبي في دراسة مواضيعه. وتوصّل بذلك إلى مجموعة من النظريات، متجها للكشف عن القوانين التي تخضع لها تلك الظواهر، هذه القوانين ليست كقوانين العلوم التجريبية، نظرا لحداثة هذا العلم مقارنة بالعلوم الأخرى.

ويعتقد جورج لندبرج (George A. Lundberg) أنّ مناهج البحث في علم الاجتماع ينبغي أن تحذو حذو مناهج علم الطبيعة، من حيث اهتمامها بالتجريب والقياس الدقيق. وكان يدّعي أنّه لا توجد أي فروق جوهرية بين الظواهر الطبيعية والسلوك الاجتماعي، وأنّ كلاهما يمكن دراسته بنفس الدرجة من الموضوعية التي يدرس بها الآخر. غير أنّ الحقيقة أنّ الغالبية العظمى من علماء الاجتماع لا يستطيعون أن يسقطوا من حساباتهم الظواهر الذاتية، كالقيم والعواطف، ولا أن يستبعدوها من دائرة الاهتمام العلمي للبحث في علم الاجتماع.

الفصـــل الأول: علم الاجتماع، نشأته، ماهيته، فروعه، فوائده.

لماذا ندرس علم الاجتماع:

إنّ تاريخ علم الاجتماع كعلم مستقل، له حدود لا تزيد عن المئة وخمسين عاماً (150 سنة)، لكن هذا لا يعني أنّ الإنسان لم يهتم بقضايا وموضوعات الحياة الاجتماعية، إلاّ منذ هذا التاريخ القريب. في الحقيقة لقد انتبه البشر منذ آلاف السنين إلى الكثير من تلك الموضوعات والقضايا التي تتم اليوم دراستها دراسة علمية، إلاّ أنّ ما يميز دراسات اليوم، هو استخدام المنهج العلمي في جمع المعلومات وتفسيرها. كما أنّ دوافع الاشتغال بهذا العلم تختلف من شخص إلى آخر، بل حتى علماء الاجتماع أنفسهم لا يتفقون على أهداف واحدة لدراستهم.

فقد نتساءل لماذا ندرس علم الاجتماع، أو بمعنى آخر ما هي فائدته، والقيمة من وراء دراسته؟ ونحن في الواقع لو أمعنّا النظر في حياتنا اليومية العادية، لوجدنا أنفسنا وسط كم هائل من التساؤلات تطرح نفسها، من خلال ما نشاهده يومياً من أشياء وظواهر، وما نسمعه من أخبار وشائعات، قد تثير دهشتنا وحيرتنا في كثير من الأحيان، بل وتجعلنا في موقف لا نستطيع أن نُكوّن لأنفسنا فيه إجابات شافية لها. ومن هنا تزداد حيرة الانسان ودهشته، خاصة إذا كان ما يتلقّاه من إجابات وتفسيرات غير كافية لتبرير ما يحدث حوله، أو يشاهده من ظواهر، ويجد نفسه جاداً في سبيل البحث عن طبائع الأشياء وحقيقتها وما يكمن خلفها من علل حقيقية، لأنّ ما يشاهده الانسان ويستلفت انتباهه يقع أساساً في المجتمع الذي هو جزءٌ منه.

وهنا يتجلى لنا سؤال آخر لماذا دراسة المجتمع بالذات؟ والإجابة على ذلك تتضح في أنّنا نرى أشياء ومظاهر لا نحبها، ونرغب في معرفة الاسباب لظهورها ووقوعها، وما إذا كانت ضرورية أم غير ضرورية، آملين من وراء ذلك القضاء على تلك الأسباب وتغيير العالم. وكثيراً ما يتضح أن الأشياء التي

نشاهدها ليست هي الواقع كما يبدو لنا، وأنّ ما هو صادقٌ في ظل ظروف معينة ليس صادقاً في ظل ظروف أخرى. لذلك فعلم الاجتماع لا يتطرق إلى دراسة الإنسان إلاّ من حيث كونه كائناً اجتماعياً، وهو مهيأ بطبيعته للحياة في المجتمع، ولا يتصور نظرياً وعملياً أنه قادر على الحياة بغير مجتمع، بل إنّه يستمد انسانيته من المجتمع. وتحمّل الصعوبات في محاولة فهم الإنسان ككائن اجتماعي، ليس ثابتاً، بل متغير باستمرار يعيش وسط عالم متغير لا سيطرة له عليه، سيؤدي بنا إلى إزالة التناقض المدمر بين رغبة الإنسان وقدرته على السيطرة على بيئته الخارجية من جانب، ومعرفته بنفسه وقدرته على السيطرة عليها من جانب آخر.

فقد تتأثر حياتنا اليومية بمجموعة من الوقائع الاقتصادية والثقافية والنفسية والتاريخية وحتى السياسية، وفهم هذه المعطيات لا بد أن يتم عبر تحليل السياقات الكبرى (السياق الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي...الخ) التي تجري داخل المجتمع، وهذا هو جوهر النظرية السوسيولوجية.

فائدة

إنّ البشر بطبعهم مخلوقات اجتماعية، تهديهم أعظم نوازعهم وغرائزهم أصالة إلى أن ينشئوا قواعد خلقية تربط بينهم، فتحيلهم إلى مجتمعات. **فرانسيس فوكوياما**.

الإنسان ثالوثي التعريف، فهو يشتمل على جانب فردي، وآخر اجتماعي، وثالث بيولوجي. هذه الأقسام لا تلتئم لتشكِّل الإنسان الشمولي، فهي ليست ثلثاً منه، بل هي كلّيّة: الإنسان فردي 100%، واجتماعي 100%، وبيولوجي 100%. لكن، في التدريس والبحث، هذه الأسس الثلاثة تُعالَج بطريقة مفكَّكة، ولا حاجة للتأكيد على أن تخصُّصات بحثية كثيرة لا تهتمّ بالتعقيدات البشرية، والتي لا حاجة مُلحّة لها إلى دراسة الإنسان في كلّيّته، ولا حتى التفكير فيه بشمولية. **إدغار موران، التفكير الشمولي، الإنسان وعالمه، 2015**.

التفكير بطريقة سوسيولوجية (التفكير الشمولي): تبني لمقاربة تتسم بالشمولية والاتساع، هذه المقاربة تتضمن كافة أبعاد الواقع الاجتماعي. ويتطلب الخيال السوسيولوجي أن يبتعد الفرد عن الروتينيات، وينظر للظاهرة من جميع جوانبها.

مثال عن التفكير بطريقة سوسيولوجية

كل صباح تجتمع العائلة حول مائدة الإفطار لشرب أكواب من القهوة أو الشاي والاستمتاع بها. ما الذي يمكننا قوله حول هذا الموقف من ناحية علم الاقتصاد؟ الأمر لا يتعدّى أن يكون مجرد تكلفة إضافية بالنسبة لرب الأسرة. غير أن الأمر يختلف من ناحية علم الاجتماع. كيف؟ فالشاي والقهوة ليسا مجرد شراب، بل إن لهما قيمة رمزية، فبسببهما تجتمع الأسرة كل صباح، مما يخلق نوعا من التفاعل بين أفرادها. كما أن هذين المشروبين يحتويان على نسبة من العقاقير المحفزة للدماغ، التي تؤدي بمن يشربها إلى الإدمان عليها، بهذا المنطق يمكن القول عن شارب الشاي أو القهوة أنّه مدمن، لكن أغلب الناس لا يعتبرون شرب الشاي أو القهوة ادمانا. وهنا يطرح السؤال، هل الإدمان مفهوم طبي بحت أم هو مفهوم اجتماعي؟ فما هو غير مقبول ومحرّم لدى مجتمعات، يعتبر شيء عادي ومقبول في مجتمعات أخرى (شجرة القات التي يمضغ ورقها بعض أهل البلاد، كاليمن، وجنوب الجزيرة العربية، وبلاد القرن الإفريقي وما جاورها، وهي مباحة عندهم، محرمة في مجتمعات أخرى، بل إنّ عقوبة من يستعملها، كعقوبة من يتناول المخدرات المعروفة). والقهوة منتوج مسيّس، بسب السجالات الدائرة حول العمالة في حقول انتاجها. وهي من المنتجات التي تربط بين فقراء العالم وأغنيائه (تنتج في أفقر بلدان العالم، وتستهلك بكثرة في أغناها). كما أنّ شراء الشاي والقهوة يندرج في الثقافة الاستهلاكية وطريقة العيش، فسكان الجزء الغربي من الأرض يفضلون القهوة على الشاي، بينما يفضل سكان الجزء الشرقي الشاي على القهوة، حتى أن القرارات التي يتخذها المستهلكون حول الشاي والقهوة أصبحت تمثل خيارات لأسلوب الحياة.

ما هو علم الاجتماع:

علم الاجتماع أحد فروع العلوم الاجتماعية، فكل النتائج التي يتوصل إليها هذا العلم مستخلصة من البحوث الأمبريقية، التي تُجرى وفقاً لقواعد المنهج العلمي.

فائدة:

البحث الأمبريقي: هو البحث الذي يحتكم إلى الواقع، أي يدرس أموراً قائمة فعلاً في الواقع.

قواعد المنهج العلمي، تشمل: الموضوعية، استخدام الأرقام كلما أمكن ذلك، بيان نقاط الضعف في البحث، كما تبين نقاط القوة فيه، التسليم منذ البداية بضرورة وضع كل النتائج التي يتم التوصل إليها على محك الاختبار لكي تتأكد صحتها، أو تعدل، أو تلغى كلية. ويتم هذا الاختبار من قبل الباحثين الآخرين في الميدان نفسه.

أوّلاً، تعريف علم الاجتماع:

ليس من اليسير وضع تعريف محدد لعلم الاجتماع، ومن الصعوبة بمكان أن يصل البحث فيه إلى تعريف جامع مانع، نظراً لتعدد موضوعاته واختلافها، وعلى ذلك فقد تعددت تعريفات هذا العلم، بتعدد تصورات العلماء والنظريات والمذاهب.

1- **التعريف اللغوي:** ظهرت كلمة سوسيولوجي (sociology) سنة 1830 لما صاغها "أوجست كونت"، وهي مشتقة من كلمة لاتينية (socio) وتعني رابطة أو رفيق أو مجتمع، وأخرى يونانية (logie) وتعني علم أو منطق أو دراسة على مستوى عالي. وقد شاع استعمالها، واعتُرف بها في اللغات الأخرى، كما نجدها في العربية "علم الاجتماع".

فائدة:

سبق بن خلدون أوجست كونت بثمانية قرون في تسمية علم الاجتماع بعلم العمران

2– التعريف الاصطلاحي: يعرّف علم الاجتماع اصطلاحا بأنّه علم المجتمع، باعتبار اختصاصه بكل ما هو اجتماعي (انساني)، أو بكل ما يتعلق بالإنسان من الناحية الاجتماعية، وكل ما يرتبط بالمجتمع من الناحية الإنسانية.

فائدة:

المجتمع: تطلق على شبكة العلاقات الإنسانية، وهي عبارة عن سلوك أي جماعة مكونة من أعضاء يعيشون حياة تضامن، ووسيلتهم في ذلك التفاعل والعلاقات المتبادلة.

3– تعريفات علماء الاجتماع: تعددت التعريفات طبقاً لوجهات النظر واتجاه كل مذهب، وفيما يلي أهم التعريفات:

- أوجست كونت (Auguste Comte): العلم النظري المجرد للظواهر الاجتماعية.
- هربرت سبنسر (Herbert Spencer): العلم الذي يدرس الظواهر فوق العضوية أو التطور فوق العضوي بتغيير أكثر دقة.
- جيمس بي (Gims Bey): العلم الذي يدرس طبيعة العلاقات الاجتماعية وأسبابها ونتائجها.
- اميل دوركايم (Émile Durkheim): دراسة الظواهر الاجتماعية، ويرى أنّه دراسة تحددت طبيعتها من خلال موضوعها.
- ماكس فيبر (Max Weber): (ينطوي على قدر كبير من الغموض) عرّفه بأنّه دراسة الفعل الاجتماعي الذي يتضمن معنى ذاتياً، وعرّفه أيضاً بأنّه دراسة الفعل الاجتماعي النموذجي، وكان يميل إلى الأخذ بالتعريف الثاني.
- كارل ماركس (Karl Marx): علم الاجتماع محاولة للوصول إلى نظرية متكاملة عن بناء المجتمع وتغيره.
- سوروكن (Pitirim Sorokin): هو دراسة الخصائص المشتركة بين كل أنواع الظواهر الاجتماعية.
- روبرت ماكيفر (Robert Maciver): العلم الذي يدور حول العلاقات الاجتماعية.

من جملة التعريفات السابقة، يتضح أنّ علم الاجتماع لا يهتم ببناء الجسد الانساني أو بوظائف أعضائه أو بالعمليات العقلية في حد ذاتها، بل يهتم بما يحدث عندما يقابل الانسان انساناً، أو عندما يتفاعلان ويتعاونان أو العكس يتنافسان ويتصارعان، ومهما كانت هذه العمليات الاجتماعية التي تقوم

بين الانسان وغيره من البشر، فوحدة الدراسة السوسيولوجية ليست على الاطلاق فرداً واحداً، ولكنها تتمثل على الأقل في فردين، يُكوّنان معاً علاقة بشكل ما. وممّا تقدم يتضح أن علم الاجتماع هو أحد العلوم الاجتماعية، وهو عبارة عن مجموعة العمليات والظواهر الاجتماعية التي توجد بين الافراد والجماعات التي ينتمون إليها، وبين المجموعات في مختلف صورها، وذلك على أساس البحث العلمي المنظّم.

فائدة:

وصف بن خلدون علم الاجتماع بقوله "وأعلم أنّ الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غريب النزعة، عزيز الفائدة، أعثَر عليه البحث، وأدّى إليه الغوص، وهو ليس بِعلم الخطابة، وإنّما هو الأقوال المقنعة النافعة في استمالة الجمهور إلى رأيٍ أو صدهم عنه، ولا هو أيضاً من علم السياسة المدنية، وكأنه علم مستنبط النشأة، ولعمري أنني لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة، ولا أدري هل غفلوا عن ذلك؟ وليس الظن بهم، أو لعلّهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل إلينا؛ فالعُلوم كثيرة، والحُكماء في أمم النوع الإنساني متعدّدون، وما لم يصل إلينا من العلوم أكثر مما وصل". **ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، الجزء الأول.**

ثانياً، نشأة علم الاجتماع:

يعتبر علم الاجتماع حديثاً إلى حدٍ ما، مقارنةً بالعلوم الاجتماعيّةِ الأخرى، بما فيها علم السياسة والاقتصاد وعلم الإنسان والتاريخ، إضافةً إلى علم النفس، فقد ظهر هذا العلم بالشكل الذي هو عليه في وقتنا الراهن كصياغةٍ علميّة في بدايات القرن التاسع عشر للميلاد، كنوعٍ من الرد الأكاديمي على تحدي الحداثة. في تلك الأثناء تمنى علماء الاجتماع فهم تلك التحولات، التي طرأت على عددٍ من المجموعات الاجتماعيّة، ساعين لتطوير نوعٍ من الدواء لحالات التفكك الاجتماعي، فقد أصبح الفرد أكثر انعزالاً وانطوائية. ليكونوا بهذا قد وضعوا أسُساً لتساءل سوسيولوجي يتجاوز مرحلة التفكير الأخلاقي، التي سادت الفكر الفلسفي الإغريقي والإسلامي، إلى تفكير أكثر موضوعية في أسباب ونتائج الظواهر الاجتماعية.

لقد كان للثورة الفرنسية (1789) على الصعيد السياسي والثورة الصناعية على الصعيد الاقتصادي الأثر البالغ في إعادة صياغة النظام الاجتماعي القديم، مما انجر عنه رهانات جديدة متعلقة بالمجتمع الجديد قيد البناء، من المخاوف الناجمة عن انتشار العديد من المشكلات الاجتماعية الملحة، مثل: البطالة، البؤس، الكحول، الاكتظاظ في المدن، إضافة إلى ارتقاء مكانة العقل وظهور فلسفة الأنوار، هذا التوجه العقلاني أنتج في المجتمعات الأوربية انجذاباً قوياً نحو العلم والمعرفة، ليكون عصر التنوير مناسبة لظهور العلموية والفلسفة الوضعية.

فائدة:

العلمويـــة: نزعـة تقـوم علـى الإيمـان بـالقوة الكبـيرة للعلـم، وقدرتـه علـى حـل مشـاكل البشـرية. وهـي كـذلك اعتقـاد فلسـفي يؤكـد علـى أنّ العلـم يتـيح لنـا معرفـة كليـة للأشـياء الموجودة في الكون.

الوضـــعية: عقيـدة فلسـفية تعتقـد بـأنّ السـبيل الوحيـد للمعرفـة، هـي ملاحظـة الوقـائع والتجربة العلمية.

ويمكن حصر أهم الظروف التي ساعدت على بروز علم الاجتماع في الآتي:

1- تقدم العلم الطبيعي كعلوم الفلك والطبيعة والأحياء والكيمياء، والتقدم في الفلسفة والمنطق والرياضيات.

2- قيام الثورة الصناعية، نتيجة التقدم الصناعي الناتج عن تطور العلوم.

3- قيام الثورة الفرنسية، نتيجة تطور الأفكار الفلسفية والسياسية.

4- الحاجة إلى علم جديد يحرز تقدماً في دراسة الآثار المترتبة على هذه التغيرات على مستوى الحياة الاجتماعية، وكان هذا العلم هو علم الاجتماع.

5- ظهور نظام اجتماعي متغير باستمرار، واتساع قوة الاتصال وتعاظم تأثيرها.

6- الرغبة المتزايدة في إعادة تشكيل الواقع الاجتماعي، والتخطيط له من أجل التقدم. ولا يمكن إتمام ذلك بغير معرفه حقيقية بالواقع الاجتماعي، وهي ما يطلق عليها اسم السوسيولوجية.

فائدة:

العوامل التي حالت دون تأسيس علم عربي لدراسة المجتمع:

1- انهيار الدولة نتيجة الصراعات الداخلية.

2- غزو التتار والمغول.

3- سقوط دولة العرب في الأندلس.

ثالثا، فروع وميادين علم الاجتماع:

يحتوي الجدول الموالي على قائمة بأهم فروع علم الاجتماع ومجال الدراسة فيه. إذ يظهر التنوع الواضح في الدراسات السوسيولوجية، وذلك عائدٌ الى تنوع الحياة الاجتماعية، فهي تشمل على ما هو اقتصادي، سياسي، ثقافي، ديني، تربوي...إلخ.

الجدول رقم 1: أهم فروع علم الاجتماع.

حول العمل	
علم اجتماع العلاقات الصناعية	علم اجتماع المهن
علم اجتماع العمل	علم اجتماع النقابات والجمعيات
علم اجتماع المنظمات	علم اجتماع المؤسسة
علم اجتماع البطالة	علم الاجتماع الاقتصادي
حول علاقة الفرد بالمجتمع	
علم اجتماع الفرد	علم اجتماع الطبقات الاجتماعية
علم اجتماع التغير الاجتماعي	علم الاجتماع العائلي
علم اجتماع الجند (النوع/ نساء، رجال)	علم اجتماع الهوية
علم النفس الاجتماعي	
حول طرق العيش	
علم الاجتماع الحضري	علم الاجتماع الريفي
علم اجتماع الفقر	علم اجتماع الاستهلاك

علم اجتماع الثقافة	علم اجتماع الفن
علم اجتماع الرياضة	علم اجتماع الاعلام والاتصال
علم اجتماع الحياة اليومية	علم الاجتماع التربوي
علم اجتماع العلوم	
حول الأفكار والمعتقدات	
علم اجتماع الأديان	علم اجتماع القيم
علم اجتماع المعرفة	علم اجتماع الفرق الدينية
حول المواطنة	
علم اجتماع السياسة	علم اجتماع الانتخابات

رابعا، فوائد علم الاجتماع:

لقد تقدّم علم الاجتماع في السنوات الأخيرة تقدّماً كبيراً، وأصبحت الحاجة إليه ملحّة كعلم يدرس الحياة الاجتماعية، ويتوقّع منه المهتمون به فوائد عديدة للفرد والمجتمع. والسؤال المهم الذي نطرحه، هو: ما الفائدة التي تعود علينا من دراسة علم الاجتماع؟ هل هو علم مفيد لنا في حياتنا؟ أم هو لون من ألوان العلوم التي تضيف إلينا بعض المعرفة وحسب، هل هو علم له آثاره التطبيقية العملية التي تظهر في ميدان الحياة؟ أم هو مجرد علم تنظيري مملّ؟ بالمختصر: هل هو علم مفيد أم لا؟ هل يستحق العناء في دراسته أم لا؟ بالتأكيد سيتوقف جواب هذا السؤال، على استمرارنا في دراسة علم الاجتماع أو توقفنا عن ذلك. وسنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال المفردات التالية:

1- فهم الحياة:

علم الاجتماع يجعلنا نفهم المجتمع البشري، كيف بني؟ وكيف يتغير؟ وكيف يتفاعل أفراده مع التغيرات التي تعرض لهم؟ والذي يفهم المجتمع، يفهم نفسه، ومن فهم نفسه فهم الحياة. إذ إنّ الحياة ليست أكثر من أرض وناس يعيشون عليها، وعلم الاجتماع يدرس هذا وذاك. ويمكننا من خلال علم الاجتماع أن نتجاوز أفعال الناس إلى دوافعها، ويجعلنا ندرك –بقليل من الجهد– البواعث الكامنة وراء كثير من السلوكيات التي نراها في الشارع، والتي نمارسها أيضاً. وهذه الثمرة بلا شك ثمرة تستحق العناء في سبيلها.

2- نظرة مختلفة إلى الحياة:

نكتسب من دراسة علم الاجتماع القدرة على النظر إلى الأشياء المألوفة بطريقة غير مألوفة، وهذا ما يسمى بالإبداع، والفارق بين الدارس لعلم الاجتماع وبين من لا يعرفه كبير جداً. فحين ننظر إلى أي شيء في الشارع، كالسيارة مثلا، تعد عند الإنسان العادي وسيلة للتنقل وحسب، ولكنها عند الدارس لعلم الاجتماع شيء آخر، فهي إضافة لوظيفتها في النقل، أداة من أدوات البروز الاجتماعي، والتعبير عن الثروة أو الفقر، ويمكن النظر إليها بشكل مختلف كلياً عن النظرة العادية.

إنّ مطاعم "ماكدونالدز" في نظر الإنسان العادي مجرد أماكن لتناول الطعام، يتكرر وجودها على نطاق واسع، لكنها ترتبط لدى الدارس لعلم الاجتماع بألوان كثيرة من المعطيات والنتائج، التي قد تبدو بعيدة عن مرمى بصر الإنسان العادي. إن ماكدونالدز وسيلة من وسائل الهيمنة على ثقافة المجتمع، تعني توجه المجتمع إلى أن يكون نسخة غير مرسومة بعناية من "أميركا"، وهي تعني حين تنتشر في مكان ما، أنّ ثمّة ضعفاً في الحياة المنزلية، وأن هناك ابتعاداً عن المكونات الغذائية التقليدية، ما يعني أشياء كثيرة، منها على سبيل المثال: زيادة معدلات السمنة، وانتشار بعض الأمراض الناتجة عن ذلك، وأشياء أخرى. والكلام نفسه يمكن أن يقال عن: ألعاب الفيديو، وكوب القهوة، وانتشار أسواق "السوبرماركت" على حساب الدكاكين الصغيرة المتخصصة، واختفاء الألعاب الشعبية... إلخ.

فائدة:

إن علم الاجتماع يجعل عيوننا من ليزر.. ويجعلنا نرى الحياة شيئاً مختلفاً عن المألوف، وهذا ما يمنحنا بصيرة، ويجعل أحاديثنا في المجالس أكثر عمقاً وطرافة، وأكثر إفادة وإثارة وتميزاً.

3- توقعات صائبة:

التنبؤ هدف من أهداف العلوم كلها. وعلم الاجتماع يجعلنا نتوقع نهايات بعض المعارك والصراعات في المجتمع الذي نعيش فيه منذ بداية المعركة أو أثناءها، ويجعلنا لا نستبعد حدوث الكثير من الصراعات والعصبيات التي لا يتوقعها من لا يعرف شيئاً عن علم الاجتماع، والقوانين التي تحكم تغير المجتمع، وبذلك نصبح أكثر اطمئناناً إلى طبيعة الأيام. إنّ الذي يدرك أن الأفكار الجديدة لا يمكن أن تنتشر دون أن تواجه بالرفض وشيء من المغالبة والمقاومة للتغيير، ثم يكتب لها الانتصار حين تستوفي بعض الشروط، يستطيع أن يعرف لماذا تمت مواجهة الأنبياء والمصلحون، كما تمت مواجهة المفسدين

على مر التاريخ، بكثير أو قليل من الممانعة والمقاومة. وكيف أن من صبر، وكابد وعمل على التغيير، وفق السنن والقوانين المتحكمة في تغير المجتمع، وصل إلى مراده، ومن خالف هذه القوانين انتهت مهمته بالفشل.

4- معرفة العام من خلال الخاص:

يهتم عالم الاجتماع عادة بأسئلة كيف ولماذا؟ كما يقوم عالم الاجتماع بدراسة ظاهرة ما (كالانتحار أو الاغتصاب أو السرقة أو التمييز العنصري) من خلال مجموعة من الناس، ويصفهم حسب جنسهم (ذكر أم أنثى) أو وظيفتهم أو نوع دينهم (بروتستانت / كاثوليك / مسلمين... الخ) أو لونهم (أبيض/ أسود/ أصفر) أو فقرهم و غناهم (طبقاتهم الاجتماعية) ومستوى تعليمهم (ابتدائي، ثانوي، جامعي... الخ) وهذا في الحقيقة ما يمكن تسميته بمعرفة العام من خلال الخاص. وهو منهج متبع من مناهج علم الاجتماع. ولعل من أولى الظواهر الاجتماعية المدروسة علمياً هي ظاهرة الانتحار في فرنسا، من طرف العالم الفرنسي دوركايم، كما سنرى ذلك لاحقا.

5- معرفة المجهول من خلال المتعارف عليه:

وهي إحدى وجهات النظر في علم الاجتماع، حيث ننظر إلى الغريب في المجتمع ونقيسه على المتعارف عليه بين الناس. فقد نشاهد الأشياء لأول مرة فنشعر أنَّها غريبة، بينما يراها آخرون في مكان آخر وكأنها عادية عندهم. وينحصر دور عالم الاجتماع هنا بجمع المعلومات الضرورية لتحليل الظاهرة قيد البحث حتى يفهمها ويصفها كما هي (واقعية) لا كما يجب أن تكون(مثالية). ولا كما يراها الناس بعيونهم (حساً) أو ظنوا أنَّهم رأوها (تخيلا). وبالطبع فإنَّ رؤية الظاهرة بعين بصيرة يحتاج إلى خبرة وتجربة في مجالها، ولذلك فإنّ علماء الاجتماع حين يصفون ظاهرة معينة تبدو وكأنَّها صورة جديدة تختلف عمّا يراه الناس لنفس الظاهرة. وهناك العديد من الأمثلة على هذه الظاهرة، إذ يختلف الآباء وأبناؤهم حول التقاليد، كما يختلف المتعلم عن غيره في رؤية الأشياء والظواهر.

فائدة:

ابن خلدون هو أوّل من دعى إلى قياس الظواهر السابقة على مثيلاتها من الظواهر الحاضرة.

الفصل الثاني، علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى:

ليس من اليسير أن نتصور حدودا واضحة، تفصل فصلاً تاماً بين فروع العلوم الاجتماعية المختلفة. ذلك لأنّ الإنسان هو موضوع اهتمامها جمعياً، وإن تباينت الزوايا التي يتناول منها كل علم دراساته وتحليلاته. ومع ذلك فإن معرفة حدود كل علم يهتم بدراسة الإنسان وما يصدر عنه من تصرفات وسلوكيات، تكشف عن ملامح عديدة تميز كل فرع من هذه الفروع عن الآخر.

1- علاقة علم الاجتماع بعلم الاقتصاد:

يُعنى علم الاقتصاد بصفة عامة بدراسة إنتاج وتوزيع السلع والخدمات، وقد تطور هذا العلم في العالم الغربي، في ظل المدرسة الكلاسيكية بإنجلترا، وتناول العلاقات المتبادلة بين المتغيرات الاقتصادية البحتة، كالعلاقة بين سعر السلعة والكمية المعروضة منها، والبحث في نظريات العرض والطلب. ويهتم علم الاقتصاد بالصناعة والمؤسسات الاقتصادية مثل: البنوك وشركات التجارة والنقل. ورغم أن هذه المؤسسات هي المجال الخاص للدراسات الاقتصادية، إلاّ أن علماء الاجتماع أيضا يهتمون بدراستها، لأنّهم يدرسون النواحي الاجتماعية للأنشطة الاقتصادية. ومن الملاحظ أن الكثير من المشكلات الهامة ذات الصلة الوثيقة بعلم الاقتصاد، لم تتناولها البحوث الاقتصادية، ومن أمثلة ذلك دراسة دور القيم والتفضيل في التأثير في قوة العمل، وأثر العادات الاجتماعية في الأسعار، ودور التعليم في الإنتاج وغير ذلك من الموضوعات، التي تركت ليتناولها في الدراسة علماء الاجتماع وعلماء النفس.

ويلتقي علم الاقتصاد وعلم الاجتماع في أكثر من موضوع، فالثروة التي هي بؤرة علم الاقتصاد لا توجد إلاّ في المجتمع ولا تنتج إلاّ عن طريق الأيدي العاملة، ولا تتناول إلاّ بين أفراد تربطهم نظم وأوضاع اجتماعية. كما يهتم علماء الاجتماع بدراسة العلاقات الاقتصادية بين العمال وأصحاب الأعمال، أي بين العمل ورأس المال، الذي أصبح قوة جمعية لأنه ثمرة الجهد الذي يبذله أفراد المجتمع منذ القدم. ومن هنا نشأت النظريات الاشتراكية، التي مهّدت لقيام نظم سياسية واجتماعية، تستند إلى أسس اقتصادية.

2- علاقة علم الاجتماع بعلم السياسة:

يلتقي أحد فروع علم الاجتماع، وهو علم الاجتماع السياسي، مع علم السياسة في الاهتمام بموضوعات واحدة وتماثل في أسلوب الدراسة، فعلم السياسة يعنى بالإدارة العامة وكيفية رفع كفاءة الأجهزة الحكومية، في حين يهتم علم الاجتماع "بالبيروقراطية" والضغوط المتصلة بها. وقد حاول علماء الاجتماع، خلال النصف الثاني من القرن العشرين، أن يبرزوا الفوارق بين دراساتهم والدراسات السياسية

البحتة، فأزداد اهتمامهم بالبحوث الاجتماعية في مجال السلوك السياسي، فبحثوا في السلوك الانتخابي واتجاهات الرأي العام نحو الموضوعات السياسية المختلفة، وعمليات اتخاذ القرارات في المجتمعات المحلية الصغيرة.

3- علاقة علم الاجتماع بعلم التاريخ:

علم التاريخ هو علم إنساني اجتماعي في نفس الوقت، ويصنّف بأنّه أبو العلوم لأنه من أقدمها، كما يعرّف بأنّه ذلك العلم الذي يتخذ من الوقائع والأحداث التاريخية التي تظهر في مسرح الحياة البشرية موضوعا، ويهدف إلى استخلاص العبر من تجارب السابقين. وعالم الاجتماع يهتم بدراسة التاريخ، لكن على نحو مختلف، فمهمته الأساسية هي:

أ- الفهم الشمولي للعمليات الاجتماعية المتكررة بالنسبة للجماعة أو المجتمع، بمعنى تحليل القوى الاجتماعية والثقافة والسياسية والعسكرية التي لعبت دوراً بارزاً في تشكيل الواقع الاجتماعي في فترة زمنية، وكيف تمخض عن ذلك ظهور بعض الظواهر أو المشاكل الاجتماعية.

ب- الوقوف عند العلاقات العملية التي تربط الماضي والحاضر، وكيف تفسر وتؤثر في المستقبل. بمعنى أن عالم الاجتماع يهتم بالماضي، لكي يفسر به الحاضر، وكلاهما (الماضي والحاضر) يعطي صورة تنبؤيه للمستقبل.

ج- الكشف عن النظريات التي تفسر التطور التاريخي، مثل ما قام به ماركس في محاولة الكشف عن ميكانيزمات الصراع الاجتماعي وما ينتج عن ذلك من آثار اجتماعية واقتصادية وسياسية، شكّلت مجرى التاريخ الإنساني، وكذلك يهدف البحث التاريخي إلى وضع نظريات اجتماعية تفسر ثقافات وأشكال الحضارات الإنسانية، مثل "سوروكن" و"سيجر" و"بارسونز"، في مجادلتهم استقصاء التاريخ من أجل تفسير أشكال التغير الثقافي والاجتماعي، في المجتمعات الإنسانية قديما وحديثا.

4- علاقة علم الاجتماع بعلم النفس:

علم النفس هو ذلك العلم، من العلوم الاجتماعية، الذي تدرس الأفراد في حالات منعزلة ويهتم بدراسة مظاهر السلوكيات، التي تعبر عن شخصيات الأفراد الذين يتأثرون بالأوضاع الاجتماعية المختلفة. وقد يتصور البعض أن علم الاجتماع يهتم بدراسة الجماعة بينما يهتم علم النفس بدراسة الفرد، غير أن هذا الاتجاه لا يقرر الحقيقة كاملة، فالجماعة ما هي إلاّ عدد أقل أو أكثر من الأفراد، والجماعات لا تفكر أو تشعر أو تتصرف إلاّ في أسلوب مجازي، إذ إنّ التفكير والسلوك لا يصدران إلاّ

عن الأفراد، كما أن الإنسان الفرد ليس له وجود والحياة الإنسانية لا يمكن أن تتحقق إلاّ في وسط جمعي. هذا ويظهر التداخل بين كل من علم الاجتماع وعلم النفس، ويظهر بوضوح في فرع علم النفس الاجتماعي الذي يقع على الحدود بين العلمين.

5- علاقة علم الاجتماع بعلم الأنثروبولوجيا:

تهتم الأنثروبولوجيا أو علم الإنسان ببيان أوجه النشاط الإنساني في عصور قديمة أو مجتمعات معزولة وصغيرة نسبيا، وتهتم أيضا بدراسة الحضارة البشرية والتطور المادي والثقافي للإنسان. لقد ارتبطت تحليلات دراسات الأنثروبولوجيا بمجموعة كبيرة من رواد علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، من أمثال راد كليف براون ومالينوفسكي وكروبر وغيرهم آخرون. ولقد تأثر بهذه التحليلات كثير من رواد علم الاجتماع، من أمثال دروكايم وغيره، من رواد الاتجاه البنائي الوظيفي في دراسة الحياة الاجتماعية في المجتمعات الحديثة. كما تعددت اهتمامات الأنثروبولوجيا في الوقت الراهن ولم تقتصر على دراسة المجتمعات البدائية أو البسيطة فقط، بل أصبحت أيضا تهتم بدراسة مشكلات المجتمع الحديث، خاصة المناطق المتخلفة والمناطق الصناعية، وتحليل مشكلات الجريمة والانحراف في المجتمعات المتحضرة، لتشارك عموما مجموعة اهتمامات علماء الاجتماع والعلوم الاجتماعية في الكثير من الميادين والمجالات المختلفة.

6- علاقة علم الاجتماع بالجغرافيا:

تعتبر دراسة الظواهر الجغرافية من الدراسات الهامة التي يهتم بها علماء الاجتماع لاعتبارها جزء من البيئة الخارجية التي تحيط بالإنسان ذاته، فدراسة البيئة الجغرافية من قبل علماء الاجتماع تجعلهم يتعرفون على كثير من الجوانب المتداخلة أو المسبقة لحدوث الظاهرة الاجتماعية ذاتها، وهذا ما يعتبر في حد ذاته موضع اهتمام لعلماء الجغرافيا أنفسهم. فدراسة الظواهر السكانية أو الهجرة أو النشاط الاقتصادي مثلا، يجعل عالم الاجتماع يتعرّف على طبيعة وأثر البيئة الجغرافية والعوامل المناخية والتضاريس والعوامل الاقتصادية، التي تؤثر في توزيع السكان أو الكثافة السكانية أو نوعية النشاط الاقتصادي، وعملية الطرد أو الجذب عند دراسة الهجرة، سواء كانت داخلية أو خارجية أو مؤقتة أو دائمة.

كما أن دراسة التركيب السكاني والديموغرافي للسكان يجعلنا نهتم بدراسة جميع العوامل المتداخلة مع نوعية تركيب السكان، الوضع الطبقي والمهني وجميع الأنشطة الاقتصادية. إنّ عالم الاجتماع يهتم كثيرا بدراسة اهتمامات وموضوعات علماء الجغرافيا، من أجل الاستفادة من مداخلهم ومناهجهم

وتفسيرهم للظواهر الجغرافية، وهذا ما ينطبق على سعي علماء الجغرافيا للاستفادة من تحليلات علماء الاجتماع، لا سيما أن الجميع يهتم بدراسة المجتمع ككل.

7- علاقة علم الاجتماع بالإدارة:

يعتبر علم الإدارة من العلوم الاجتماعية التي استقلت حديثا على علم الاقتصاد. ولقد ارتبط علم الإدارة بعلم الاجتماع، نظرا للاهتمامات المتزايدة لعلماء هذا العلم المتخصصين منه ولا سيما في السنوات الأخيرة، فأصبحت مجالاته وميادينه تتداخل في الكثير من العلوم، أو فروع العلوم الاجتماعية ذاتها. فلقد جاءت اهتمامات عالم الاجتماع لتدرس جميع المؤسسات والتنظيمات الاجتماعية كاملة، وإن علم الاجتماع يدرس الأفراد والجماعات ليس فقط بأنهم أفراد مجردين، ولكن أيضا عن طريق وجودهم كأعضاء داخل تنظيمات ومؤسسات اجتماعية مميزة. ويعتمد علم الاجتماع التنظيم أحد المجالات الهامة لعلم الاجتماع، التي يهتم بدراسة طبيعة الإدارة داخل التنظيمات الاجتماعية المختلفة، التي يقوم بدراستها علماء الاجتماع، بدءاً من الشركات العالمية والشركات العملاقة، حتى دراسة جماعة أو تنظيمات عصابات الأحداث. إن مهمة علم الاجتماع لا تكرس فقط لدراسة الأفراد والجماعات باعتبارهم أفراد عاديين، لكن تفسير سلوكهم وأنشطتهم وتفاعلهم داخل التنظيمات الاجتماعية التي يولدون، يتربون، ينشؤون، يعملون، ويرفهون فيها أو يوقع عليهم الجزاء والعقاب.

8- علاقة علم الاجتماع باللغة:

يعد علم اللغة من العلوم الاجتماعية، الذي يهتم بدراسة الكثير من أنشطة الإنسان خلال تفاعله وعلاقاته، وتعتبر اللغة رمز الاتصال بين البشر، كما تعتبر جزء من مكونات الثقافة وعناصرها المختلفة، التي لا يهتم بها علماء اللغة فقط، بل الكثير من علماء العلوم الاجتماعية. ولقد ظهر منذ عدة عقود في الجامعات الغربية والعالمية اهتماما ملحوظا بعلم اجتماع اللغة، كأحد الفروع التي تربط بين اهتمامات كل من علماء الاجتماع وعلماء اللغة. ويركز علم اجتماع اللغة على دراسة طبيعة ومكونات وتراكيب اللغة، وأسباب انتشارها، واختلاف وتباين اللغات العالمية، ونوعية اختلاف اللغات واللهجات العالمية، مثل: اللهجات الساحلية عن الداخلية، أو أهل الريف عن أهل الحضر، أو التطور اللفظي لمفردات اللغة واشتقاقاتها المختلفة.

9- علاقة علم الاجتماع بالقانون:

القانون هو مجموعة قواعد قانونية تنظم سلوكيات أفراد المجتمع، هذه القواعد منها ما هو آمر وما هو تكميلي. وتبزر العلاقة بين العلمين في أنّ كلاهما يهتم بدراسة الفرد والمجتمع. ورغم أنها يهتمان بدراسة الإنسان في الوسط الاجتماعي، إلا أن علم الاجتماع أشمل من علم القانون، هذا الأخير في نظر بعض السوسيولوجيين، يُعد فرعاً ثانوياً من فروع علم الاجتماع. ويلتقي العلمان في فرع مشترك، يسمى علم الاجتماع القانوني، ومن بين المواضيع التي يهتم بها هذان العلمان نجد: قانون الأسرة، قانون الجماعات الاجتماعية، قانون المرأة، قانون الثقافة... إلخ.

10- علاقة علم الاجتماع بالخدمة الاجتماعية:

ترتبط الخدمة الاجتماعية، وفروعها وميادينها، المختلفة بعلم الاجتماع، وفي كثير من الأحيان يقع نوع من الخلط في طبيعة الاهتمامات بين هذين العلمين، فعلم الاجتماع يركز على استخدام النظريات السوسيولوجية في تحديد وتوجيه البحث الاجتماعي ومناهجه وأدوات جمع بياناته المختلفة، بالإضافة إلى كيفية استخدام وتطبيق واختبار تلك النظريات في الواقع. أمّا علم الخدمة الاجتماعية بأقسامه المختلفة (مثل: خدمة الفرد والجماعة، وتنظيم المجتمع)، فيهتم بتوصيف أنماط الخدمة من الناحية العلمية الواقعية، وما ينبغي أن يقوم به الأخصائيون أو القائمين على التخطيط الاجتماعي، لأساليب الرعاية المختلفة.

وخلاصة القول، إنّ علم الاجتماع بوصفه أحد العلوم الاجتماعية، له وظيفة عامة تناسب تلك الوظائف التي تؤديها بقية العلوم الاجتماعية، والعلوم الاجتماعية كلها تدرس السلوك البشري، لكن من زوايا مختلفة، هذا الاختلاف راجع إلى الاختلاف في موضوعات الدراسة، ونوع المتغيرات المستخدمة في التفسير. ويؤكد الكثير من العلماء أنّ الاختلاف في العلوم الاجتماعية هو اختلاف تمليه ضرورة الدراسة والتحليل فقط، غير أن نتائج البحوث في ميادين العلوم الاجتماعية متشابكة ومترابطة.

فائدة:

يظهر الفرق بين علم الاجتماع وباقي العلوم الاجتماعية، إذا ما تناولنا دراسة ظاهرة اجتماعية معينة، كالانتحار مثلاً، فالاقتصاد يرجع أسبابها إلى الفقر، وعلم النفس يرجعها إلى أزمة عاطفية أو صدمة نفسية، والسياسة تردها إلى الإخفاق في الميدان السياسي، والدين يربطها بفساد الخلق والابتعاد عن الحق، والجغرافيا تعزوها إلى أثر المناخ أو البيئة... إلخ. وعلى الرغم من توصل هذه التفسيرات إلى جانب أو أخر من حقيقة الانتحار، إلاّ أن كل منها على حدة لا يستطيع أن يقدم سببا كافيا يمكن الاعتماد عليه، لأنّه لم يدخل في تبيان الخصائص الرئيسية للانتحار، ونوع الأشخاص المنتحرين وفترات الزيادة والنقصان في معدلات الانتحار، وتوزيع نسب المنتحرين في المجتمعات المختلفة. والذي يستطيع أن يقدم تلك الأسباب ويقوم بكل هذه التفسيرات هو علم الاجتماع، وهذا لا يعني أن هناك قطيعة بين علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى، بل على العكس، فنظرية كارل ماركس الاجتماعية – على سبيل المثال – كان لها أكبر الأثر على الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية على السواء، إلا أن علم الاجتماع – دون العلوم الاجتماعية الأخرى – يدرس الظواهر الاجتماعية، في تفاعلها بعضها مع بعض، وفي أثر كل منها على الأخرى، والوظائف التي تؤديها والارتباط فيما بينها. فهو إذاً علم تركيبي شامل يحوي مختلف العلوم الاجتماعية الأخرى.

الفصل الثالث: رواد علم الاجتماع (المؤسسون).

أوّلًا، عبد الرحمان بن خلدون (1332–1406):

ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خالد (خلدون) الحضرمي ... المعروف باسم بن خلدون (ولد في يوم الأربعاء 27 مايو 1332، وتوفي في يوم الجمعة 19 مارس 1406). كان فلكيا، اقتصاديا، مؤرخا، فقيهاً، حافظاً، عالم رياضيات، استراتيجياً عسكرياً، فيلسوفاً، ورجل دولة، يعتبر مؤسس علم الاجتماع. ولد في إفريقية فيما يعرف الآن بتونس في عهد الحفصيين. كانت عائلته تملك في الاندلس مزرعة "هاسيندا توري دي دونيا ماريا" القريبة من دوس هرماناس (اشبيلية).

لقد أصبح من المسلّم به تقريبا في مشارق الأرض ومغاربها، أنّ بن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع أو علم العمران البشري كما يسميه. ويبدو واضحا أن اكتشاف بن خلدون لهذا العلم قاده إليه منهجه التاريخي العلمي الذي ينطلق من أنّ الظواهر الاجتماعية تخضع لقوانين ثابتة، وأنّها ترتبط ببعضها ارتباط العلة بالمعلول، فكل ظاهرة لها سبب، وهي في ذات الوقت سبب للظاهرة التي تليها، لذلك كان مفهوم العمران البشري عنده يشمل كل الظواهر، سواء كانت سكانية، ديموغرافية، اجتماعية، سياسية، اقتصادية أو ثقافية.

ولا تكمن أهمية بن خلدون في مؤلفه، **كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**. بل في المقدمة التي وضعها مدخلا لهذا الكتاب، التي درس فيها طبيعة المجتمعات وتطورها من حال إلى حال، ليتزوّد المؤرخ بمعيار يمكنه على أساسه، التحقق من الأحداث والحكم عليها. فابن خلدون يرى أنّ الحاضر يشبه المستقبل كما يشبه الماءُ الماءَ، ومن ثم فإنّ دراسة علم العمران (وهو دراسة الحاضر)، من شأنه أن يسلّط الضوء على التاريخ (دراسة الماضي)، مثلما يزوّد التاريخ علم الاجتماع بمادته.

وقد عرّف بن خلدون علم الاجتماع بأنّه ما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش، التأنس، العصبيات، أصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبه، وما ينتحله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وأثر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال.

اسهاماته في علم الاجتماع:

كان بن خلدون أوّل من حدّد بوضوح وطبّق بعض المبادئ الرئيسية التي ينبغي أن يرتكز عليها علم الاجتماع، ومنها:

1- أنّ الظواهر الاجتماعية تخضع لقوانين قد لا تكون من الثبات كتلك التي تحكم الظواهر الطبيعية، غير أنّ فيها من عناصر الثبات ما يسمح للأحداث الاجتماعية أن تتوالى وفق أنماط منتضمة ومحددة.

2- أنّ تلك القوانين تفعل فعلها في الجماعات ولا تتأثر بصورة كبيرة بالأفراد والأحداث المنعزلة، فمحاولة فرد واحد لاصلاح مجتمع أو دولة فاسدة، قلّما تصادف النجاح، لأنّ جهود الفرد سرعان ما يكتسحها التيار الجارف العنيف، الذي تمثله القوى الاجتماعية.

3- أنّ اكتشاف تلك القوانين لا يمكن أن يتحقق إلاّ بعد جمع عدد ضخم من الحقائق، وملاحظة ما يقترن بها أو يليها من وقائع.

4- إنّ منظومة القوانين الاجتماعية الواحدة تصدق على المجتمعات المتماثلة البنية، على الرغم من تباعدها في المكان والزمان.

5- المجتمعات ليست ساكنة بطبيعتها، أي أنّ الأشكال الاجتماعية عرضة للتغير والتطور، والعامل الوحيد الذي يكون سببا للتغير، هو التماس والاتصال بين الشعوب والطبقات المختلفة.

6- كل تلك القوانين اجتماعية في طابعها، وليست نابعة من دوافع بيولوجية أو من عوامل بدنية.

ويرى أنّ الإنسان لا يستطيع العيش بمعزل عن أبناء جنسه (الانسان اجتماعي بطبعه)، إذ إنّ الاجتماع الإنساني ضروري، فالإنسان مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية، وهو معنى العمران.

وقد تعرض للعمران البشري على العموم، مبيناً أثر البيئة في الكائنات البشرية، وهو ما يدخل حاليا في علم الأنثروبولوجيا. وتطرّق لأنواع العمران البشري تبعا لنمط حياة البشر وأساليبهم الإنتاجية، قائلا: إنّ اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم في المعاش، مبتدئا بالعمران البدوي باعتباره أسلوب الإنتاج الأولي الذي لا يرمي إلى الكثير، بل فقط تحقيق ما هو ضروري للحياة.

كما أكّد أن الدعامة الأساسية للحكم تكمن في العصبية، والعصبية عنده أصبحت مقولة اجتماعية، احتلت مكانة بارزة في مقدمته، حتى اعتبرها العديد من المؤرخين مقولة خلدونية بحتة. فقد ربط كل الأحداث الهامة والتغييرات الجذرية التي تطرأ على العمران البدوي أو العمران الحضري بوجود أو

فقدان العصبية. كما أنها في رأيه المحور الأساسي في حياة الدول والممالك، مبيناً أنّ العصبية نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا، ذلك أنها تتولد من النسب والقرابة وتتوقف درجة قوتها أو ضعفها على درجة قرب النسب أو بعده. ثم يتجاوز نطاق القرابة الضيقة المتمثلة في العائلة، ويبين أن درجة النسب قد تكون في الولاء للقبيلة وهي العصبية القبلية. أما إذا أصبح النسب مجهولا غامضا ولم يعد واضحا في أذهان الناس، فإن العصبية تضيع وتختفي هي أيضا، بمعنى أن النسب إذا خرج عن الوضوح انتفت النعرة التي تحمل هذه العصبية، فلا منفعة فيه حينئذ. هذا ولا يمكن للنسب أن يختفي ويختلط في العمران البدوي، ذلك أنّ قساوة الحياة في البادية تجعل القبيلة تعيش حياة عزلة وتوحش، بحيث لا تطمح الأمم في الاختلاط بها ومشاركتها في طريقة عيشها، وبذلك يحافظ البدو على نقاوة أنسابهم، ومن ثم على عصبيتهم، فالصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين في القفر، أمّا إذا تطورت حياتهم وأصبحوا في رغد العيش بانضمامهم إلى الأرياف والمدن، فإن نسبهم يضيع حتما بسبب كثرة الاختلاط ويفقدون بذلك عصبيتهم. وهكذا خلَصَ للقول إلى أنّ العصبية تكون في العمران البدوي وتفقد في العمران الحضري.

ويرى بن خلدون أن المجتمع يولد كما يولد الفرد، ويمر كما يمر الكائن الحي بطور الطفولة (النشأة، التكوين) والشباب والنضج، ثم مرحلة الشيخوخة (الهرم). وإن كانت المجتمعات تخضع بالضرورة لهذه الأدوار، إلاّ أنّ المدة التي تتطلبها كل مرحلة تختلف عن الأخرى. وتقسيم بن خلدون هذا كان على أساس اجتماعي، من مشاهدته للمجتمع الإسلامي، حيث اعتبر مرحلة النشأة والتكوين في جسم الانسان يقابلها المرحلة القبلية في المجتمع، تلك المرحلة تقوم على العصبية والفضيلة والدعوة الدينية، ومرحلة النضج عند الانسان تقابلها مرحلة التحضّر في المجتمع، حيث السلطان والمجد. ومرحلة الرجولة عند الانسان فتقابلها مرحلة الملك في المجتمع، حيث الركون للسكون والاستمتاع بثمرة الحضارة. أمّا مرحلة الشيخوخة في جسم الانسان، فتقابلها مرحلة الهرم في المجتمع، حيث يتطرق الفساد إلى النواحي الاجتماعية والاقتصادية، الأخلاقية، الدينية، وإذا كانت الشيخوخة عند الانسان تنتهي بموته، فإنّ الهرم في المجتمع أيضا ينتهي بموته. والشكل الموالي يوضح تلك المراحل.

الشكل رقم 1: المراحل التي تمر بها الدول حسب بن خلدون.

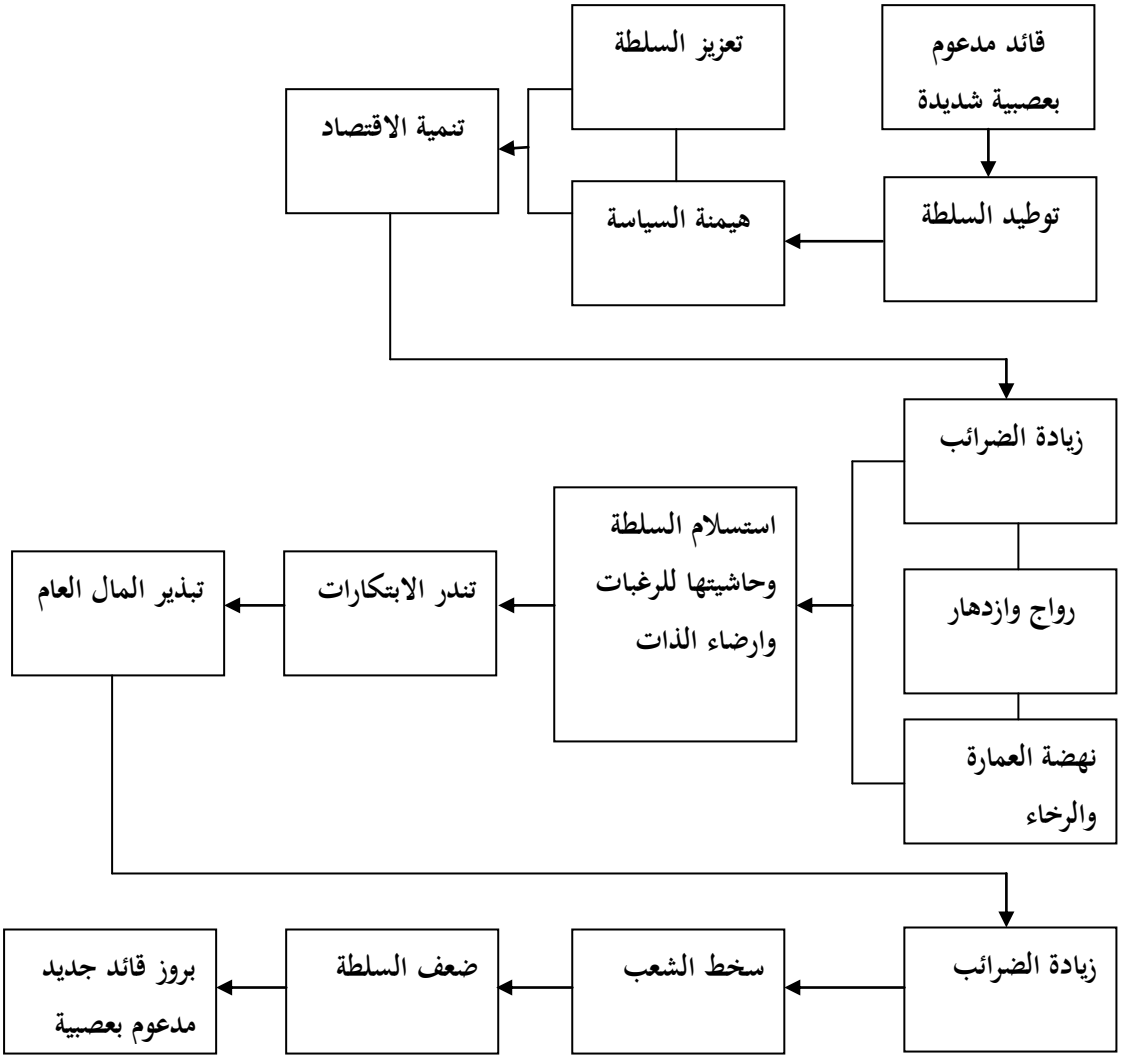

فائدة:

قال بن خلدون " إذا نزل الهرم بالدولة، فإنّه لا يرتفع"، ومن ثمّ فلا جدوى من الإصلاح الاجتماعي.

ويرى أنّ المعرفة تتحقق عن طريق الاستقراء الفطري، الذي هو في حقيقته استقراء علمي تنقصه التجارب المعملية ووسائل البحث الحديثة، التي استعان بها بن خلدون. كما أكّد على تأثير البيئة الجغرافية على الحياة الاجتماعية فهي تشكل نوع المجتمع ونوع الحرفة، هل هي زراعية أم صناعية أو صيد أو تجارة، بل وتؤثر على أخلاق الناس وطباعهم وبيوتهم وأزيائهم، مثل الشرق العربي أحسن مناطق

العالم، لأنه معتدل بين الحرارة الزائدة في الجنوب والبرد الشديد في الشمال، أما الأقاليم غير المعتدلة فأهلها غير معتدلين في أحوالهم.

الاستقراء: تتبع الأحداث التي تشمل على جزئيات للوصول إلى نتيجة كلية، عوضاً عن الحس واستخدام المنطق. وخطوات المنهج الاستقرائي الفطري تبدأ من المعرفة التجريبية إلى محاولة تطبيقها والتحقق من صدقها، عن طريق إخضاع تلك المعرفة للواقع الذي هو المحك الأساسي في صدقها أو كذبها.

شذرات من كلام بن خلدون:

- الطغاة يجلبون الغزاة.
- العدل إذا دام عمّر والظلم إذا دام دمّر.
- الظلم مؤذن بخراب العمران.
- الاستبداد يقلب موازين الأخلاق، فيجعل من الفضائل رذائل ومن الرذائل فضائل.
- دخول الحكام والأمراء للسوق والتجارة والفلاحة مضرة عاجلة للرعايا، وفساد الجباية ونقص للعمارة.
- إذا عمّ الفساد في الدولة فإنّ أُولى علامات الاصلاح هي الفوضى.
- الشعوب المقهورة تسوء أخلاقها.

ثانياً، أوغست كونت (1798–1857) Auguste Comte:

ولد أوجست كونت في مون بوليه، في 19 جانفي 1798 بفرنسا، ولم يتلقى كونت تعليماً جامعيا مع أنّه عاش في أسرة ميسورة. وكان لذلك تأثير سلبي على مهنته فيما بعد، كمدرس. وفي عام 1817 أصبح كونت سكرتيرا وابناً بالتبني لكلود هنري سان سيمون (الفيلسوف) الذي يكبر كونت بأربعين عاماً. وقد عملا معاً لسنوات عديدة، لكن حدت شقاق بينهما، لاعتقاد كونت بأن سان سيمون لم يقدّر إسهامه التقدير المناسب.

وقد كتب كونت فيما بعد عن علاقته بسان سيمون يصفها بأنها "قصة دامية في أيام شبابي الأولى مع محتال فاسق" وعلى الرغم من عداء كونت فيما بعد مع سان سيمون، فإنه أشاد بفضله العظيم عليه حيت كتب يقول: "من المؤكد أنني أدين فكريا لسان سيمون بالفضل العظيم... فقد أسهم إسهاماً قوياً في الأخذ بيدي إلى الاتجاه الفلسفي الذي بلورته اليوم بوضوح، وسوف أنتهجه طيلة حياتي بلا تردد".

وعلى الرغم من نجاحه الفكري، حيث كان الفيلسوف الفرنسي يلقي محاضراته في جامعات مختلفة، إلاّ أنّ حياته عرفت سلسلة من الإحباطات والفشل، فقد أصيب بمرض عقلي لمدة معينة، وحاول الانتحار مرات عدة، وعاش في عوز وضيق مادي لمراحل متقطعة من حياته، حتى أن "ستيوارت مل" رتّب له معاشاً، ليستطيع مواصلة بحوثه. وقد نتج عن اللاّستقرار النفسي الذي عاشه كونت وقوعه في "حب سيدة لم تبادله أي شعور"، فعادت أزمته العصبية، وتوجه إلى التفكير الصوفي، وصارت محبوبته رمزاً للإنسانية، فكان يصلي لها، وكانت شيطانه الذي أوحى إليه كتابه الثاني "مذهب في السياسة الوضعية" (1854-1851) والتعليم الديني" التعليم الديني الوضعي" (1852).

اسهاماته في علم الاجتماع

ليس بوسع شخص بمفرده بطبيعة الحال أن يأسس لمجال دراسي بمفرده، وقد أسهم عدد من الباحثين في بواكير التفكير الاجتماعي، غير أنّ الاولوية تعطى لكونت، إن لم يكن لشيء فلكونه ابتكر للعلم الجديد إسماً (علم الاجتماع/ سوسيولوجي)، وسمّى كونت هذا الموضوع أوّل الأمر الفيزياء الاجتماعية، إلّا أنّ منافسيه كانوا يستخدمون هذا الاصطلاح في ذلك الوقت.

وقد حاول كونت أن يميز آراءه عن مفاهيمهم فنحت مصطلح علم الاجتماع، فمن اللغة اللاتينية استمد مفردة *socio* التي تعني المجتمع، ومن اللغة الإغريقية مفردة *logos* أي العلم. فكان علم الاجتماع: علم المجتمع أو علم دراسة المجتمع. أوغست كونت يعد أيضا من أوائل من قال بإمكانية والحاجة لخلق علم اجتماعي جديد.

لقد كان تفكير كونت انعكاسا للأحداث المضطربة التي تميز بها عصره، فقد أدخلت الثورة الفرنسية تغيّرات مهمة على المجتمع، وكان التصنيع المتنامي قد بدأ بتعديل أساليب الحياة التقليدية للفرنسيين. ومن هنا سعى كونت إلى وضع علم جديد للمجتمع، لتفسير القوانين التي تنظم حياة العالم الاجتماعي. فبالنسبة لكونت علم الاجتماع يمثل العلم الذي يختم تطور ومسار العلوم الوضعية. هذا العلم الجديد برأيه ينقسم إلى حقلين كبيرين للدراسة:

1- الستاتيكا الاجتماعية (الثبات الاجتماعي): دراسة محددات وعوامل النظام و التماسك الاجتماعي. ولقد توصّل في تحليله الاستاتيكي إلى أنّ المجتمع يتكون من ثلاثة وحدات أو عناصر أساسية، هي: الفرد والأسرة والدولة، غير أن الفرد لا يعتبر عنصراً اجتماعياً، فالقوة الاجتماعية مستمدة في حقيقتها من تضامن الأفراد واتحادهم ومشاركتهم في العمل وتوزيع الوظائف فيما بينهم، أما القوة الفردية الخالصة فلا تبدو إلا في قوته الطبيعية، لكن ليست لهذه القوة أية قيمة إذا كان الفرد وحيداً أعزل من الأساليب والوسائل التي تذلل له متاعب الحياة. ولا قيمة كذلك لقوة الفرد العقلية والأخلاقية، فالأولى لا تظهر إلا بمشاركة غيرها من القوى واتحادها ببعضها، والثانية في نظره وليدة الضمير الجمعي والتضامن الأخلاقي في المجتمع.

2- الديناميكا الاجتماعية (التغير الاجتماعي): دراسة تطور الإنسانية والقوانين التي تسير نمو المجتمع الإنساني وتحكم تغيره. وقد انصب على دراسة الديناميكا الاجتماعية بحديثه عن قانون المراحل الثلاث. فيرى كونت أن الفكر البشري قد مر خلال تطوره التاريخي بحالات ثلاث: المرحلة اللاهوتية التي تعلل الأشياء والظواهر بكائنات وقوى غيبية، والمرحلة الميتافيزيقية التي تعتمد على الإدراك المجرد، والمرحلة الوضعية التي يتوقف فيها الفكر عن تعليل الظواهر بالرجوع إلى المبادئ الأولى، ويكتفي باكتشاف قوانين علاقات الأشياء عن طريق الملاحظة والتجربة الحسية. ويعتبر كونت أنّ العلم الذي يتفق مع المرحلة الوضعية، ويساعد على فهم الإنسان، ويستوعب جميع العلوم التي سبقته، هو علم الاجتماع.

قانون المراحل الثلاث: يزعم كونت أنّ المسعى البشري لفهم العالم قد مرّ بثلاثة أطوار:

- المرحلة اللاهوتية: كان الفكر الانساني مسيّرا بالأفكار الدينية، والاعتقاد أنّ المجتمع ما هو إلاّ تعبير عن إرادة الله.
- المرحلة الميافيزيقية: تصدّرت الفكر البشري في عصر النهضة، فالقوى فوق الطبيعية عوضت بأفكار وتصورات مجردة، وبدأ الناس ينظرون للمجتمع في اطاره الطبيعي، مثل: الحرية، المساواة، العقل، الفرد.
- المرحلة الوضعية: يميزها البحث عن القوانين التي تحكم الظواهر باستعمال التفكير العقلي والتجريب. هذه المرحلة ميزتها الاكتشافات والاختراعات العلمية (نيوتن، كوبرنيك، غاليلي...).

ويعد كونت مؤسس " الفلسفة الوضعية"، فحسب رأيه، كل اكتساب للمعرفة يجب أن يتحقق انطلاقا من ملاحظة للواقع ليتم فيما بعد صياغة مقولات نظرية. ملاحظة الواقع يجب أن تسبق كل اقتراح نظري. ليعارض بذلك أولئك الذين يضعون مقدمات نظرية دون مطابقتها للواقع. حسب كونت علم الاجتماع عليه التحلي بهذا الطابع الوضعي والعلمي، عليه أن يكون قبل كل شيء علم ملاحظة، عليه أن يطبق نفس المنهجيات العلمية الصارمة التي تطبقها العلوم الطبيعية، كالفيزياء أو الكيمياء.

ويرى كونت أنّه إذا كانت الغاية هي تنظيم المجتمعات الحديثة على قاعدة العلم، فإن علم الاجتماع هو الذي يسهم في ذلك، لأنه علم كلي، يدرس المجتمع في جميع مظاهره ومقوماته. والحقيقة الوضعية تنطلق من إعطاء الأولوية للكل على الجزء لأن الوحدة هي النمط الطبيعي للوجود الإنساني، وإنّ كل جزء من النظام الاجتماعي يؤثر على غيره من الأجزاء. وأنّ هناك حالة من الترابط بين النظام السياسي والمؤسسات السياسية والحالة العامة للحضارة. لهذا فإن كونت يخضع السياسة للأخلاق، فالأخلاق الوضعية تقوم على تقديم الاجتماعي على الفردي، أي على انتصار الإنسانية ودمج الفرد في المجتمع، فلا شيء أكثر غرابة على فكر كونت من الحقوق الفردية.

> قال كونت: "إن الوضعية لا تقر حقا آخر غير حق القيام بالواجب ولا تقر واجبا غير واجبات الكل تجاه الكل، لأنها تنطلق دائما من وجهة نظر اجتماعية ولا يمكن لها أن تقبل بمفهوم الحق الفردي. فكل حق فردي هو عبثي بقدر ما هو غير أخلاقي".

ويؤكد كونت على أنّه يوجد بين الفرد والإنسانية جماعات وسيطة، هي الأسرة والوطن، ويعطي أهمية كبيرة للأسرة، والمرأة على وجه الخصوص، في التنشئة الأخلاقية. فالأسرة هي الوسيط بين الفرد والوطن، والوطن هو همزة الوصل بين الأسرة والإنسانية. إلاّ أنّ فكر كونت لا يدعو إلى المساواة على الصعيد السياسي، بل إنّه يؤمن بدور النخب ويقيم تمييزاً حاداً بين الجماهير والاختصاصيين والحكام، وينيط أمر تحديد الأهداف والوسائل بالمختصين بالعلوم السياسية وحدهم، إذ يقول "الجماهير تطلب والصحافيون يقترحون والحكام ينفذون، وما لم تكن هذه الوظائف متميزة، فإنّ الالتباس والتعسف سيسودان المجتمع إلى درجة كبيرة". وهكذا فإنّ غاية السياسة عند كونت هي أن يصبح كل مواطن موظفاً اجتماعياً خاضعاً للسلطة بصورة تامة. والسياسة الوضعية تلتمس الطاعة الكاملة، فالنظام فيها ينتصر على التقدم.

ثالثاً، إميل دوركايم (1858–1917) Emile Durkneim:

ولد إميل دوركايم سنة 1858 بمدينة إبينال بفرنسا، حيث نشأ في عائلة من الحاخامين. وكان تلميذًا بارعًا وما لبث أن التحق بمدرسة الأساتذة العليا (من أفضل مؤسسات التعليم العالي في فرنسا) سنة 1879، فاحتكّ ببعض شبان فرنسا الواعدين، من أمثال: جان جوريس وهنري برغسون، غير أن الأجواء بالمدرسة لم تعجبه، فالتجأ إلى الكتب ليتجاوز الفلسفة السطحية التي كان يدين بها رفاقه. هكذا اكتشف أوغست كونت الذي أثرت مؤلفاته عليه تأثيرًا عميقًا، فاستقى منها مشروع تكريس علم الاجتماع كعلم مستقل قائم بذاته، يهدف إلى كشف القواعد التي تخضع لها تطورات المجتمع. فنجد لهذا الاهتمام صدى في أعماله عن قواعد المنهج السوسيولوجي وعن الانتحار والتربية، حيث تتجلى رغبته في أن يواجه المشاكل المختلفة بمناهج خاصة ومن منظور اجتماعي منزّه من إشكاليات العلوم الأخرى (الفلسفة والتاريخ مثلا) ومقارباتها.

اسهاماته في علم الاجتماع:

في كتابه الشهير "قواعد المنهج في علم الاجتماع" الذي خصصه لدراسة الظواهر الاجتماعية، تعريفها وخواصها، وطرق ملاحظتها وتفسيرها ودراستها اجمالا. وفى تعريفه للظاهرة الاجتماعية يقول أنها كل ضرب من السلوك ثابتاً كان أم غير ثابت، يمكن أن يباشر نوعا من القهر الخارجي على الأفراد، أو هو سلوك يعم المجتمع بأسره، وكان ذو وجود خاص مستقل عن الصور التي يتشكل بها في الحالات الفردية.

ويرى بوجوب دراسة الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء خارجة عن شعور الأفراد، وقد دافع عن هذا الرأي بقوله "إنّ الشيء يقابل الفكرة"، بمعنى أن معرفتنا له تأتى من الخارج، على حين أن معرفتنا بالفكرة تأتى من الداخل. والشيء هو كل ما يصلح أن يكون مادة للمعرفة.

كما يعتبر أن الظواهر الاجتماعية توجد خارج الفرد، وتأتى إلى عقله كشيء خارجي، على شكل قواعد خلقية أو دينية أو قانونية أو منطقية. ولما كانت تأتى وتصحبها عادة قوة ملزمة أو قهرية، فإنّ هذا يساعدها على أن تفرض نفسها على الفرد، بصرف النظر عن رغباته الفردية. وهذا ما دعا دوركايم إلى أن يؤمن بوجود العقل الجمعي والمشاهدة الجماعية كأشياء مستقلة، تختلف عن العقل الفردي والمشاهدة الفردية والظواهر النفسية.

وفي كتابه تقسيم العمل الاجتماعي، الذي اصدره سنة 1893، حلّل التضامن الاجتماعي من حيث أسبابه وأشكاله وآثاره. وقد اتّخذ دوركايم في الجزء الأول من تقسيم العمل مُعاملاً للتغيير، وحاول أن يربط بينه وبين الظواهر الاجتماعية والنفسية، التي تتغير نتيجة للتغير الذي يطرأ على تقسيم العمل. ويمكن تلخيص أهم ما انتهى إليه دوركايم في هذا الشأن فيما يلي:

1- تقسيم العمل إذا كان ضئيلاً، كان لذلك أثره على تصرفات ونفسية الإنسان، فالأفراد يكونون متشابهين في النواحي النفسية والخلقية والاجتماعية، وحيث تكون عقائدهم وأراءهم وتصرفاتهم متشابهة، كما تسود بينهم تقاليد واحدة وينعدم بينهم عنصر الفردية، أما إذا ازداد تقسيم العمل اختفى تبعاً لذلك تشابههم النفسي والخلقي، كما يزداد شعورهم بفرديتهم وتختلف أذواقهم وعقائدهم وأراءهم، كل هذا نتيجة للتخصص الذي يأتي عن طريق التوسع في تقسيم العمل.

2- يكون للجريمة وقع كبير على الجماعة في المرحلة الأولى، وعلى ذلك يكون مرتكبها وجماعته مسئولين جميعاً عنها، وينالهم جميعاً العقاب. أمّا إذا ازداد تقسيم العمل أصبحت الجريمة فردية، ويُعاقب عليها مرتكبها فقط.

3- يكون التضامن بين الأفراد في المرحلة الأولى على أساس ميكانيكي (آلي)، يقوم على أساس التشابه بين الأفراد، حيث تكون الرابطة بينهم ناتجة عن اتحادهم في الرأي العام، نتيجة للتشابه العقلي والخلقي بينهم، ثم تتغير هذه الرابطة التي توحد بينهم في المرحلة الثانية، وهي مرحلة تقسيم العمل. لأن تقسيم العمل هو نفسه الذي يشعرهم بحاجتهم إلى بعضهم البعض، وبأنهم لا يستطيعون الحياة بدون تعاونهم، وبذلك يحل التضامن العضوي محل التضامن الميكانيكي.

4- يقوم التنظيم الاقتصادي في المرحلة الأولى على أساس الملكية الجماعية، بينما تظهر الملكية الفردية، والفردية الاقتصادية والتعاون التعاقدي، والحرية في اختيار الحرف، وانهيار الأوضاع الاقتصادية الوراثية، وظهور المواهب والقدرات الخاصة، تأتي كل هذه الأوضاع نتيجة تقسيم العمل.

5- تشترك الجماعة كلها في معالجة أمورها السياسية والقضائية والاجتماعية في المرحلة السابقة لتقسيم العمل، بينما يتغير الأمر بعد ذلك بظهور التخصص الوظيفي السياسي، وظهور التنظيم التعاقدي بين الحكومة والأفراد. وهكذا ينتهي دوركايم إلى أن هناك تأثيراً مباشراً لتقسيم العمل، كعامل اجتماعي على الجوانب المختلفة للحياة الاجتماعية النفسية، وهي نتيجة توضح لنا كيف أنّ دوركايم بهذه الدراسة كان متأثراً بمبدأ خضوع الظواهر النفسية للظواهر الاجتماعية.

وفي بحثه عن الانتحار، الذي ظهر بهذا العنوان في سنة 1887، رأي فيه أنّ ظاهرة الانتحار لا يمكن ارجاعها إلى عوامل نفسية مرضية، أو إلى عامل الجنس أو الوراثة أو التقليد. كما لا يمكن إرجاعها إلى العوامل الجغرافية أو الشعور بالفقر أو الفشل في الحب أو إلى أي دافع شخصي آخر. ذلك لأن التحليل الدقيق للبيانات الإحصائية يناقض كل هذه الفروض، (استغرقت دراسة هذه الناحية الجزء الأول من كتابه عن الانتحار). وقد ميز دوركايم بين ثلاثة أشكال رئيسية للانتحار، هي:

1- انتحار بسبب الشعور بالفردية، ويحدث عندما يشعر الفرد بعزلته اجتماعياً، بعد أن تنعدم الروابط التي تربطه بالجماعة، وقد وجد دوركايم على الأساس السابق أن نسبة العزب والمطلقين أكبر منها بين المتزوجين، لأن الروابط الأسرية تقلّل من عزلة المتزوجين، وأن نسبة الانتحار تختلف بين الجماعات باختلاف الأديان، وذلك حسب أهمية الروابط الأسرية في نظر الأديان المختلفة. (نسبة الانتحار بين الكاثوليكيين أقل منها بين البروتستانت، وأقل منها بين اللاّدينين).

2- انتحار بسبب الشعور بالإيثار، ويأتي نتيجة شعور الفرد بالواجب نحو المجتمع الذي ينتمي إليه، لدرجة التضحية بنفسه من أجله، في أي وقت يطلب إليه فيه ذلك، أو إذ رأى أن الحاجة تتطلب ذلك، أو عندما يشعر الفرد بأنه قد قام بعمل فيه خزي للمجموع، والمجتمع هنا هو الذي يدفع الفرد إلى الانتحار (انتحار القائد في بعض البلاد عندما يخسر إحدى المعارك كما هو الحال في اليابان).

3- انتحار بسبب التغير المفاجئ أو غير المنتظم، وتمثله حوادث الانتحار التي توجد بالمجتمع نتيجة للاختلال في التوازن الاجتماعي للمجتمع، وقد مثل دوركايم لذلك بالأزمات الاقتصادية التي حدثت في فيينا سنة 1873، وفي باريس سنة 1882، وقد قارن بين نسبة الانتحار قبل وبعد هاتين الأزمتين، ووجد أن النسبة قد ارتفعت بسببها.

وينتهي دوركايم من دراسته إلي أن منحني الانتحار لا يمكن أن يتأثر إلا اجتماعيا، فالدستور الخلقي في المجتمع في وقت معين، هو الذي يحدد عدد حوادث الانتحار، فلكل مجتمع قواه الجمعية التي تدفع الأفراد إلي قتل أنفسهم، وهذه الدوافع وإن كانت تبدو صادرة عن المزاج الفردي، إلا أنها في الواقع تصدر نتيجة لدوافع خارجية ملازمة للدستور الاجتماعي، ولا يمكن أن تكون العكس. وهكذا يرجع دوركايم كل أشكال الانتحار التي أظهرت بحثه إلى أسباب اجتماعية، وهذا يبرز اتجاهه الاجتماعي في تفسير الظواهر الاجتماعية، وهو نفس الاتجاه الذي لمسناه في بحثه عن تقسيم العمل.

وقد انتقد دوركايم التعريف العام للدين على أنه الاعتقاد في الله، في القوى فوق الطبيعية، ولكنه يرى أن الدين يضم مجموعة من المعتقدات أو الممارسات في نسق شامل يحقق القداسة للأشياء المحرمة. وتوجد هذه المعتقدات بين الأفراد والجماعات، حيث يمكن أن تخلق مجتمعاً أخلاقياً تنقسم فيه الاشياء إلى مجموعتين مختلفتين، هما العلماني والمقدس، ويرى دوركايم أن الوظيفة الأساسية للدين، هي خلق وتدعيم التضامن الاجتماعي، وينتهي إلى أن التصورات الدينية تعد ضرورات جمعية تعبر عن الحقائق الجمعية، والطقوس هي طريقة للسلوك.

رابعاً، ماكسيميليان كارل إميل فيبر (1864 –1920) Maximilian Carl Emil Weber :

وُلد ماكس فيبر في الثاني والعشرين من شهر أفريل عام 1864 في مدينة إيرفورت (ولاية تورينغن) وترعرع في عائلة محافظة، وبعد أن أنهى دراسته، التحق بجامعات عديدة في برلين وهايدلبرغ، ودرس علوم الحقوق والفلسفة والتاريخ والاقتصاد القومي. وعند بلوغه سن الثلاثين دُعي فيبر للعمل كبروفسور في كلية الاقتصاد القومي في جامعة فرايبورغ (جنوب ألمانيا). وبعد ذلك، انتقل الى جامعة هايدلبرغ. ولكنه بعد انتقاله الى هذه الجامعة العريقة، أُصيب بمرض نفسي أجبره على مزاولة عمله على مدى سبع سنوات بشكل متقطع.

وكان عام 1904 بمثابة ولادة جديدة لفيبر، فقد بدأ من جديد بنشر أعمال كان أهمية كبيرة في مجال علوم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد. وفي عام 1909 شارك فيبر في تأسيس الجمعية الألمانية لعلوم الاجتماع. ومن ثم بدأ فيبر عام 1913 بكتابة أحد أهم أعماله، وهو "الاقتصاد والمجتمع"، الذي نُشر لأول مرة عام 1922، أي بعد وفاته. وبدأت تظهر اهتمامات فيبر بالأمور السياسية الراهنة عام 1915. هذا ويُعتبر فيبر أحد المؤسسين للحزب الديمقراطي الألماني عام 1919. وفي نفس العام كتب عملين مهمين هما: العلم كمهنة والسياسة كمهنة، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية.

فائدة:

صحيح أن رائد علم الاجتماع ألّف أعمالا كثيرة، ولكن أبرز هذه الأعمال وأكثرها تأثيرا في الفكر الاجتماعي كان كتاب "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" وبحسب المؤرخين، فإن هذا الكتاب كان قراءة لدور القيم الدينية في ظهور قيم وأخلاق العمل في المجتمعات الصناعية الجديدة، التي كانت أساس ظهور النظام الرأسمالي. وتأتي أهمية دراسات وأطروحات فيبر من اهتمامه منقطع النظير بفلسفة العلوم الاجتماعية ومناهجها. وفي هذا الخصوص، استطاع تطوير المفاهيم والجوانب التي أصبحت بعد وفاته من ركائز علم الاجتماع الحديث. ومن أهم المصطلحات التي أثرى بها علم الاجتماع، وتعتبر جزءً مهماً منه، ومرجعا كبيرا للمهتمين بهذا العلم الإنساني، هي: العقلانية، الكاريزما، الفهم، وأخلاق العمل.

اسهاماته في علم الاجتماع

عرّف فيبر علم الاجتماع بأنه ذلك العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم تفسير للفعل الاجتماعي من أجل التوصل إلى تفسير علمي لمجري هذا الفعل وأثاره. والفعل الاجتماعي حسب تعريف ماكس فيبر، والذي يجب أن يكون موضوع دراسة علم الاجتماع هو أي سلوك يضفي عليه الفعل معني ذاتياً، والفاعل حين يقوم بهذا الفعل الاجتماعي، فإنّه يضع سلوك الآخرين دائماً في اعتباره، ويكون فعله بالتالي موجهاً نحو الآخرين.

واعتبر أنّ وحدة التحليل الأساسية للمجتمع هي الشخص الفاعل، ويقول في ذلك: إنّ علم الاجتماع التفسيري يعتبر الفرد وفعله هو الوحدة الأساسية أو الذرة، فالفرد هو الشيء الوحيد الذي لديه سلوك له معني. أما المفهومات الأخرى مثل الدولة أو الرابطة أو الإقطاع، فإنها تشير إلى فئات معينة من التفاعل الإنساني. وعلى هذا فإنّ مهمة علم الاجتماع هي اختزال مثل هذه المفهومات إلى فعل يمكن فهمه، أي إلى أفعال الأفراد المشتركين في النشاط. وقد أقام فيبر نظريته على أساس التمييز بين أربعة أنماط أساسية من الفعل الاجتماعي، هي:

1- **الفعل العقلاني الذي يرتبط بهدف ما:** يرتبط بهدف ما يتصف بأن الفاعل فيه يدرك بوضوح هدفاً معيناً يريد تحقيقه وتكون لديه أساليب مناسبة لتحقيق هذا الهدف، ومثال هذا النوع من الفعال، ما

يقوم به المهندس الذي يصمم بناء معيناً أو الشخص المضارب في سوق الأوراق المالية، الذي يهدف إلى تحقيق مكسب مالي، أو القائد الحربي الذي يريد أن يحقق نصراً ما، أفعال هؤلاء جميعاً أمثلة على الفعال العقلانية التي ترتبط بتحقيق هدف معين.

2- **الفعل العقلاني الذي يرتبط بقيمة ما:** ذلك الفعل الذي لا يهدف إلى تحقيق هدف خارجي معين، بالنسبة للفرد، بقدر ما يهدف إلى التمسك بقيمة معينة لها أهمية عظمي عند الفرد. ومثال ذلك الفعل ما يقرره قبطان السفينة من ألاّ يدعها تغرق وحدها، بل يغرق معها، أو حين يشترك فرد ما في مبارزة يعلم أنّه يقتل فيها.

3- **الفعل الوجداني أو العاطفي:** ذلك الفعل الذي ينجم عن حالة عاطفية أو نفسية مباشرة للفرد، مثل ذلك حين تصفع الأم ابنها لأنه أتي سلوكاً شيناً، أو حين يضرب أحد لاعبي الكرة زميلاً له في المباراة، هذه الأفعال أفعالاً وجدانية وليست أفعالاً عقلانية، لأنها ليست موجهة إلى هدف ولا مرتبطة بقيمة معينة، ولكنها عبارة عن ردود أفعال عاطفية للفاعل الذي يجد نفسه في ظروف معينة.

4- **الفعل التقليدي:** ذلك الفعل الذي تمليه التقاليد، والعادات الجمعية والمعتقدات، والفاعل في هذه الحالة لا يأتي فعله من أجل تحقيق هدف ما، أو من أجل تمسكه بقيمة معينة أو لأنّه مثار انفعالياً، لكن فعله يكون مجرد طاعة لفطرة تم له اكتسابها من خلال عملية التطبع الاجتماعي.

الفعل = سلوك + معنى لدى فاعله.
الفعل الاجتماعي = فعل + تفاعل من أفراد آخرين.

النمط أو النموذج المثالي: تعتمد كل نظرية ماكس فيبر على هذا التصنيف للفعل الاجتماعي أو على ذلك التنميط، والتنميط له أهمية خاصة في نظرية ماكس فيبر، فقد رأى أنّه لكي نستطيع تحليل الظواهر الاجتماعية، وفهم موضوع علم الاجتماع، لابد أن تكون لدينا أداة نقوم بالتحليل على أساسها، تسهل لنا عملية المقارنة بين هذه الظواهر. هذه الأداة هي ما أسماه فيبر بالنماذج أو الأنماط المثالية الخالصة، فالأربعة أنواع من الأفعال الاجتماعية التي سبق الحديث عنها، تمثل نماذج مثالية أو خالصة للفعل الاجتماعي، بمعني أنها لا توجد في الواقع بهذه الكيفية، ولكنها مجرد تصورات عقلية مستمدة من الواقع فعلاً، لكنها لا توجد فيه بهذه الكيفية. وقد انطلق فيبر بعد تصنيفه للفعل الاجتماعي إلى تصنيف كافة

الظواهر في المجال الاجتماعي، فقد صنف بناء على ذلك، مثلاً أنماط السلطة، أو السيطرة إلى سلطة عقلانية وسلطة تقليدية وسلطة كاريزماتية.

وقد كان تصنيفه للمجتمعات، وكذلك تصوره لمراحل التطور التاريخي للمجتمعات الغربية، قد اعتمد أيضاً على تصنيفه للفعل الاجتماعي، فالصفة الرئيسية للعالم الذي عاش فيه ماكس فيبر كما يقول، هي صفة العقلانية أو الفعال العقلانية التي ترتبط بتحقيق الأهداف، والمشروعات الاقتصادية، في النظام الرأسمالي. كما أن سيطرة الدولة علي المجتمع تكون أيضاً سيطرة عقلانية عن طريق البيروقراطية.

كما انصب اهتمامه على أول نمط من أنماط الفعل الاجتماعي الأربعة، أي الفعل الاجتماعي العقلاني الموجه نحو تحقيق أهداف محدودة، لأنّ هذا النمط من الفعل الاجتماعي هو الذي يرتبط بذلك النموذج المثالي أو الخالص من نماذج المجتمع، ويعني به نموذج الرأسمالية الغربية المعاصرة. وقد أثار فيبر سؤالين هامين بالنسبة للرأسمالية:

أولهما: ما هي الخصائص المميزة لتلك الظاهرة الاقتصادية الاجتماعية المسماة بالرأسمالية، التي توجد في الغرب؟

ثانيهما: كيف ظهر هذا النموذج أو هذا النمط في المجتمعات؟

وقد رأى فيبر أن الرأسمالية قد ظهرت في أزمات مختلفة في تاريخ العالم، وفى مناطق مختلفة منه، لكن أشكالها قد اختلفت عن الشكل الحديث للرأسمالية التي توجد في العالم الغربي. ولكي يصل ماكس فيبر إلى تحديد الخصائص الأساسية للنمط الرأسمالي المعاصر، فإنّه قد أجرى دراسات متعددة عن القانون وتاريخه، وعن نظم الإدارة ونظم الحكم والنظم الدينية، واستطاع من ذلك كله أن يستخلص إجابات عن السؤالين، الذين أثارهما كما سبق أن ذكرنا.

وقرّر أن المجتمعات الإنسانية قد عرفت جميعها نمطاً ما من السلطة، ذلك أنّه في أي مجموعة من المجموعات لابد أن يكون هناك فرد أو أفراد يصدرون الأوامر، ولابد أن يكون هناك آخرون يطيعون هذه الأوامر، والذين يصدرون الأوامر يتوقعون أن تطاع أوامرهم. والسبب في ذلك أن الذين يصدرون الأوامر والذين يطيعونها يشتركون سوياً في معتقدات معينة، أو بعبارة أخرى يعتقدون بأن السلطة لها طابع شرعي، لكن أساس هذه الشرعية قد يختلف من حالة لأخرى، فهناك كما قال فيبر ثلاثة نماذج مثالية أو أنماط خالصة من السلطة يمكننا أن نميزها تبعاً لشرعيتها، هي:

1- الشرعية العقلانية: وهي تلك التي تعبر عن الاعتقاد في مشروعية أنماط القواعد المعيارية، وحق أولئك الذين تحددهم هذه القواعد في ممارسة السلطة وإصدار الأوامر.
2- المشروعية التقليدية: وهي التي تعتمد على الاعتقاد في قدسية التقاليد الراسخة، وفى حق أولئك الذين يتولون السلطة في ممارستها.
3- المشروعية الكارزماتية: (سميت بذلك الاسم الذي اشتق من الكلمة اليونانية التي تعني العظمة والموهبة) وتعتمد هذه المشروعية الكارزماتية على ولاء الناس أو الأتباع لفرد معين، يتمتع بامتياز وقدرات نادرة وخصائص شخصية، كالبطولة أو العظمة، يندر أن تتوافر لغيره. ومثل هذا القائد أو الزعيم يلقى الطاعة من الأتباع لأنهم يعتقدون أن أي أنماط معيارية أو أي أوامر يصدرها إنما هي أشياء مقدسة.

وقد أشار فيبر إلى أن الطاعة في الحالة الأولي (أي في حالة المشروعية العقلانية) ترجع إلى النظام القانوني القائم، الذي يتصف بالصفة اللاّشخصية. بينما ترجع في الحالتين الثانية والثالثة إلى صفات شخصية. والمشروعية العقلانية هي نمط فريد من السلطة ظهر في الحضارة الغربية وحدها، وقد أشار فيبر إلى أنّ أيّاً من النماذج المثالية أو الخالصة لا توجد في شكل خالص في أي فترة تاريخية، ولكن ما وجد في أي حالة من الحالات أو في أي فترة من الفترات التاريخية، لم يكن سوى شيئاً قريباً من هذه النماذج العقلية الخالصة.

خامسا، كارل ماركس (1818–1883) *Karl Marx*:

كارل هانريك ماركس، كان فيلسوف ألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع، ومؤرخ، وصحفي واشتراكي ثوري. لعبت أفكاره دورًا هامًا في تأسيس علم الاجتماع، وفي تطوير الحركات الاشتراكية، نشر العديد من الكتب خلال حياته، أهمُها: بيان الحزب الشيوعي (1848)، ورأس المال (1867–1894). ولد في عائلة غنية من الطبقة الوسطى في مدينة ترير في راينلاند البروسية، درس ماركس في جامعة بون وجامعة برلين، حيث أصبح مهتمًا بالأفكار الفلسفية للهيجليين الشباب. كتب لصحيفة راديكالية في كولونيا، وبدأ في تطوير نظريته في المادية الجدلية. بدأ الكتابة في الصحف الراديكالية الأخرى، بعد انتقاله إلى باريس عام 1843. التقى فريدرك إنجلز في باريس، وعملا معًا على سلسلة من الكتب. ثم نفي إلى بروكسل، وأصبح قيادي بارز للحزب الشيوعي، قبل أن يعود إلى كولون ويؤسس صحيفته الخاصة، وفي عام 1849 تم نفيه مرة أخرى وانتقل إلى لندن مع زوجته وأطفاله. في لندن، المكان الذي وصلت فيه

عائلته إلى الفقر، استمر ماركس في كتابة وتطوير نظرياته في طبيعة المجتمع، وكيف أعتقد أنه يمكن تطويرها، وأيضاً نظم حملة للاشتراكية – أصبح شخصية مهمة في الرابطة الدولية للعمال.

فائدة:

الهيجليين الشباب هم اتباع الفيلسوف الألماني الشهير غيورغ فيلهلم فريدريك هيجل صاحب كتاب "فينومينولوجيا الروح"، وبعد موته انقسم اتباعه إلى فئتين، هيجلي اليسار: مثل كارل ماركس وفيورباخ، وهم من سينتقد تصورات هيجل المثالية وينحون بفلسفته منحا مادي تماما كما قلب ماركس الجدلية المثالية إلى جدلية مادية. أما الهيجلييم اليمين فأبقوا على الكثير من أفكار هيجل المثالية.

زار ماركس الجزائر سنة 1881، وأقام بفندق الشرق، وسط مدينة عنابة، حيث أمضى فيه إثنين وسبعين يوماً.

وقد عايش ماركس ميلاد المجتمع الرأسمالي، وشهد نمو المصانع وتوسع الإنتاج، وما نجم عن كليهما من مظاهر التفاوت وعدم المساواة. ماركس يرى أن هناك عنصرين جديدين/أساسيين أتى بهما نظام الإنتاج الرأسمالي:

أولا: رأس المال: وهو مجموع الأصول والموجودات –بما فيها المال والمعدات وحتى المصانع– التي يجري استخدامها أو استثمارها لإنتاج أصول جديدة في المستقبل، ويسمي هذه العملية بتراكم رأس المال، ورأس المال في النظام الرأسمالي هو في يد فئة قليلة يسميهم ماركس بالرأسماليين والذين ينتمون اجتماعيا لطبقة البرجوازية.

ثانيا: العمل بأجر ويشير إلى قطاع العمال الذين لا يملكون، لا وسائل الإنتاج ولا وسائل العيش، يملكون فقط قوة عملهم، لذا فهم مضطرون إلى أن يطلبوا الاستخدام من أرباب رأس المال (الرأسماليين/البرجوازيين) مقابل أجر. العمال يشكلون غالبية أفراد المجتمع، ولأنهم يشتركون في طريقة الكسب (الأجر وليس الملكية) ولديهم نفس المصالح، فهم يعتبرون الطبقة الثانية التي يتكون منها المجتمع، طبقة العمال أو البروليتاريا.

وبالنسبة لماركس كل مجتمع يتكون من عنصرين أو بنيتين: بنية تحتية/مادية/اقتصادية من جانب، وبنية فوقية/لامادية/اجتماعية من جانب آخر. فالبنية التحتية تجمع القواعد التقنية والاقتصادية للمجتمع، والبنية الفوقية تشمل على النظام والمؤسسات السياسية الاجتماعية القانونية الفلسفية الثقافية الشفوية والدينية للمجتمع.

وفي منظومة الفهم والتحليل الماركسية، البنية التحتية (النظام الاقتصادي، نظام الإنتاج، نمط ملكية رأس المال) هي من تحدد البنية الفوقية (نوع النظام السياسي والاجتماعي، نوع الثقافة والأفكار والمعتقدات والمواقف)، بعبارة أخرى المجال الاقتصادي يحتل مكانة مركزية في فهم الظواهر السياسية الإنسانية والاجتماعية.

مقولات ماركسية

– من يملك يسيطر. من يملك رأس المال (المال، المصنع، الآلات...) يسيطر ويتحكم في من لا يملكه. هي سيطرة لا تقتصر فقط على المجال الاقتصادي/المادي بل تتجاوزه إلى سيطرة اجتماعية سياسية ثقافية وأيديولوجية.

– فكر الطبقة المسيطرة هو في كل الأزمان الفكر المسيطر في العالم.

– في الأسرة، الرجل يلعب دور البرجوازي والمرأة دور البروليتاري.

– هناك طريقة واحدة فقط لقتل الرأسمالية، الضرائب ثم الضرائب ولا شيء غير الضرائب.

– الأفكار ما هي إلا أشياء مادية منقولة ومترجمة في عقل الإنسان.

– ليس وعي الناس هو من يحدد وجودهم، بل إن طبيعة وجودهم هي من تحدد نوع وعيهم.

– إنتاج الأفكار والتمثلات مرتبط أساسا بالنشاطات والتبادلات المادية بين البشر. إنها لغة الحياة الواقعية.

– الملكية الخاصة جعلت منا أغبياءً ومحدودي العقل، إلى حد اعتقادنا بأننا لا نحوز الأشياء إلاّ إذا ملكناها.

وقد انصبت تحليلات ماركس على دراسة المجتمعات الطبقية (خاصة على المجتمعات الرأسمالية)، التي تنفرد بالملكية الخاصة لوسائل الإنتاج. بالنسبة له المواجهة بين الطبقات الاجتماعية (الصراع الطبقي) يعتبر محرك أساسي للتاريخ، إذن للتغير الاجتماعي. والتعارض بين الطبقات الاجتماعية هو

أحد الخصائص الأساسية للمجتمع الرأسمالي. ماركس يفرق بين طبقتين اجتماعيتين: طبقة الرأسماليين (البرجوازية) وطبقة العمال (البروليتاريا). هاتان الطبقان تدافعان عن مصالح متعارضة، لكي تحافظ كل واحدة على مصالحها وتحميها أو تثمنها فهي مجبرة على الدخول في مواجهة صراعية مع الطبقة الأخرى. هذا الصراع الطبقي يؤدي حسب ماركس إلى ثورة تكرس ديكتاتورية وحكم البروليتاريا أو المجتمع الاشتراكي، الذي وبعد مدة يترك المجال لمجتمع بدون طبقات: المجتمع الشيوعي.

مما سبق، واضح جدا المكانة المركزية التي يوليها ماركس للصراعات الاجتماعية. إنها عامل تغيير وتجديد اجتماعيين وليست مؤشر فوضى اجتماعية (كما يرى دوركايم).

الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج تميز المجتمع الذي ينقسم بين من هم ملاك للوسائل المستعملة في تصنيع السلع والخدمات (الرأسماليين في النظام الرأسمالي)، وبين من لا يملكون لا الآلات ولا المصانع ولا الأموال، يملكون فقط قوة العمل التي يبيعونها للأوائل (الرأسماليين) مقابل أجر، إنهم العمال.

سادسا، هربرت سبنسر Herbert Spencer (1820–1903):

من العلماء الانجليز الذين ساهموا في نشأة علم الاجتماع . بدأ دراسته بعلم الحياه ثم بعلم النفس، وأخيراً اتجه إلى علم الاجتماع، وعلى ذلك قد دخل هذا المجال متأثراً بدراسته الأولى، وهي الدراسات الحيوية، فوجدناه ينتمي إلى مدرسة جديدة هي المدرسة العضوية. ويمكن تلخيص المبادئ التي تقوم عليها هذه المدرسة فيما يلي:

1- اعتبار أن علم الحياه هو الأساس الذي يقوم عليه علم الاجتماع.
2- إنّ المبائ الحيوية يجب أن يكون لها اعتبارها عند تفسير الظواهر الاجتماعية.
3- أنّ المجتمع الإنساني وحدة حية تختلف عن كونها مجرد مجموعة من الأفراد المنعزلين.
4- لما كان أفراد المجتمع يخضعون للقوانين البيولوجية، فإن المجتمع الإنساني بذلك لا يخرج عن كونه كائناً عضوياً.
5- لما كان المجتمع الإنساني كأي كائن عضوي يتكون من خلايا حية (الأفراد)، أصبح المجتمع بذلك كالكائن العضوي في تركيبه وأعضائه ووظائفه.

ويعتبر كتاب مبادئ علم الاجتماع الذي نشره سبنسر في سنة 1876م أهم ما كُتب في علم الاجتماع، وقد وضّح فيه نظريته العضوية التي اشتهر بها، وهو يسأل في كتابه "ما هو المجتمع؟"؛ ثم يجيب على ذلك بأنه كائن عضوي، ثم يبين سبنسر بعد ذلك أوجه الشبه بين الكائن العضوي البيولوجي (الفرد) وبين الكائن العضوي (المجتمع)، وقد حددها فيما يلي:

1- اشتراك الاثنين في ظاهرة النمو، فالفرد ينمو وكذلك المجتمع.
2- يتميز الاثنان أثناء عملية التغير باختلاف في التكوين والوظائف.
3- تتوقف الأجزاء في كلٍ منهما على بعضها.
4- يتكون كل من الاثنين من وحدات توجد على شكل خلايا في الكائن العضوي البيولوجي على شكل أفراد في الكائن العضوي الاجتماعي.
5- لا تعني إصابة أي جزء في الاثنين إنهيار أو إصابة الكل دائماً.
6- لكلٍ منهما جهاز خاص يقوم بمهمة بقائه وحفظه، يتمثل في جهاز التغذية ودورة الدم في الفرد والجهاز التجاري في المجتمع، كما أن لكلٍ منهما جهاز منظم يتمثل في الجهاز العصبي عند الفرد ونظام الحكومة في المجتمع.

وإلى جوار أوجه الشبه هذه وجد سبنسر أن هناك أوجهاً للاختلاف بين الكائنين، حددها فيما يلي:

1- تكافؤ أجزاء الكائن العضوي البيولوجي بينما يتميز المجتمع بعدم تكافؤه.
2- يتميز جسم الإنسان بأنه كلٌ متصل الجزاء بينما يتميز جسم الجماعة بأنه منفصل الأجزاء.
3- يتركز الشعور عند الفرد في الجهاز العصبي أي في جزء صغير من الجسم، بينما يوجد في الجماعة موزعاً على وحداتها .

هذا وقد ساهم سبنسر في علم الاجتماع بنظرية أخرى عن السكان واسباب نموهم، وقد كان في نظريته هذه أيضاً متأثراً بدراسته البيولوجية، وذلك حينما رأى أن العوامل البيولوجية مسئولة عن زيادة السكان أو نقصهم، وذلك على أساس الربط بين الجهد الذي يبذله الفرد لتأكيد وجوده ونجاحه.

وقد رجّح سبنسر صدق نظريته بقلة نسل السيدات المشتغلات بعقولهن واللائي ينتسبن عادة للطبقة العليا، فرغم أن تغذيتهن أفضل في العادة من تغذية سيدات الطبقة الفقيرة، ورغم أنهن ينلن رعاية صحية أفضل، فإن تناسلهن ضعيف بسبب الإجهاد الذهني الذي يؤثر علي تركيبهن العضوي، مما يؤدي إلي

ضعف القدرة علي التناسل. كما يري أن مظاهر هذا الضعف لاتقتصر علي مايشيع بينهن من عقم فحسب، ولا في إنقطاعهن المبكر عن الحمل قبل النساء الفقيرات فقط، وإنما يبدو ذلك بجلاء فيما يلاحظ علي الكثيرات منهن، حيث يعجزن عن إرضاع أطفالهن ورعايتهم رعاية كاملة صحيحة.

وبذلك يري سبنسر أن المقدرة علي إنجاب طفل بمعناه الصحيح تعني المقدرة علي ولادته كامل التكوين وعلي مد أمه بالغذاء الطبيعي طوال مدة الرضاعة الحقيقية، وهذا ما تعجز عنه أولئك الفتيات هزيلات الصدور، اللائي يكابدن من ضعف التعليم العالي وشدة وطأته عليهن، وهذه الظاهرة تنطبق على كل السيدات اللائي حصلن على ثقافة عالية.

ولقد أعتقد سنبسر أنه بهذا قد اكتشف قانون الطبيعة الأعظم، كما تنبأ بنتائج هذا القانون، حينما ذكر أن مشكلة ضعف السكان ستختفي مع ما يصاحبها من شرور، ما دام الإنسان ينشد الرقي ويبذل جهوداً كبيرة في سبيل ذلك. وقد دعم سبنسر رأيه في السكان بحقائق كثيرة عن حياة الحيوان والنبات، ولكنه كان أكثر اهتماماً بوضع نظرية في مسألة السكان تنسجم مع نظريته العامة في التطور البيولوجي، أكثر منه بالبحث عن الحقيقة، إذ أن الحياة في الواقع لاتنطوي علي مثل هذا الترابط الجميل الذي تكشف عنه نظرية سبنسر، وليس في الحياة ما يبرر هذا التفاؤل السهل الذي يشيع في نظريته.

الفصل الرابع، نظريات علم الاجتماع:

شهد علم الاجتماع، في تاريخه الطويل، عدة نظريات سوسيولوجية كبرى وصغرى، ومن أهم هذه النظريات المشهود لها بالقوة والسيطرة والاهتمام، النظرية المادية التاريخية، النظرية الوضعية، النظرية الوظيفية البنائية، النظرية البنيوية، النظرية الماركسية الجديدة، نظرية الفعل الاجتماعي، النظرية التفاعلية الرمزية، النظرية الإثنومنهجية، النظرية الإسلامية، ونظريات ما بعد الحداثة، وغيرها من النظريات السوسيولوجية الأخرى، التي لها أهمية كبرى في فهم الواقع المجتمعي وتفسيره وتأويله.

أولا، النظريات الكلاسيكية:

1– النظرية الوضعية

تعد النظرية الوضعية من أهم النظريات السوسيولوجية الكبرى في تاريخ الفكر الغربي، فقد أحدثت قطيعة إبستمولوجية مع التصورات الأسطورية والميتافيزيقية، بتبني التجريب العلمي منهجا في تحصيل الحقائق، وخاصة في مجال علم الاجتماع الذي أصبح علما مستقلا مع إميل دوركايم. ومن هنا، تنبني الوضعية على الاختبارات الحسية، والتفكير المادي، والموضوعية العلمية، والحياد في البحث،

والعلمانية (فصل الدين عن العلم)، والتجريب، والتخلص من اللاهوت والتفكير الميتافيزيقي، والمنفعة، والواقعية. وترتكز النظرية الوضعية على مجموعة من المقومات النظرية والمنهجية، كالانطلاق من الإحساس وحده باعتباره مصدرا للمعرفة الاجتماعية؛ والاعتداد بالنموذج الطبيعي على أساس أنه سلطة مرجعية للعلوم الإنسانية؛ وإخضاع الظواهر الاجتماعية للفحص والتجريب والاختبار؛ والقول بشيئية الظواهر الاجتماعية.

وقد اعتمدت السوسيولوجيا الوضعية على منهجية التفسير في دراسة الظواهر المجتمعية، على أساس ارتباطها السببي والعلّي. بمعنى دراسة المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة، ضمن رؤية تجريبية استقرائية وعلمية، بغية تحصيل القوانين والنظريات، أو اختزال مجموعة من الظواهر في أقل عدد من العمليات المنطقية الصارمة.

ويقصد بالنظرية العضوية تلك النظرية السوسيولوجية أو الاجتماعية التي تعقد مماثلة بين المجتمع والكائن الحي. بمعنى أن المجتمع يتطور كتطور الكائن الحي أو الكائن العضوي. أي: تتعرض المجتمعات الإنسانية لثلاث مراحل أساسية هي: النشوء، والارتقاء، والانحلال، أو لظاهرة الولادة والتكيف والفناء، علاوة على ذلك، فهذه النظرية العضوية بيولوجية في مرجعيتها الإحالية والنظرية، تأثرت بشكل كبير بأفكار شارلز داروين. وهكذا، يولد المجتمع الإنساني ويتدرج في تطوره ورقيه حتى يصيبه الفناء والزوال، ويعني هذا أن تطور المجتمعات البشرية خاضع للحتمية البيولوجية أو الحتمية التطورية العضوية.

2– النظرية الوظيفية الكلاسيكية:

تنبني المقاربة الوظيفية على تشبيه المجتمع بالكائن العضوي الحي. بمعنى أن المجتمع يتكون من مجموعة من العناصر والبنيات والأنظمة، ويؤدي كل عنصر من هذه العناصر وظيفة ما داخل هذا الجهاز المجتمعي، وبهذا يترابط كل عنصر في النسق بوظيفة ما، فالمجتمع نظام متكامل ومترابط ومتماسك، يهدف إلى تحقيق التوازن والحفاظ على المكتسبات المجتمعية. ومن ثم، يقوم الدين والتربية – مثلا– بالحفاظ على توازن المجتمع.

وخير من يمثل هذه المقاربة الفرنسي إميل دوركايم، والأمريكيان تلكوت بارسونز وروبرت ميرتون. وقد كان لهذه النظرية إشعاع كبير في سنوات الخمسين من القرن الماضي.

وتعتبر النظرية الوظيفية أنّ المجتمع نظاما معقدا تعمل شتى أجزاؤه سويا لتحقيق الاستقرار والتضامن بين مكوناته. ووفقا لهذه المقاربة، فإنّ على علم الاجتماع استقصاء علاقة مكونات المجتمع

بعضها ببعض وصلتها بالمجتمع برمته. ويمكننا على هذا الأساس أن نحلل، على سبيل المثال، المعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية، بإظهار صلتها بغيرها من مؤسسات المجتمع؛ لأن أجزاء المجتمع المختلفة تنمو بصورة متقاربة بعضها مع بعض.

ولدراسة الوظيفة التي تؤديها إحدى الممارسات أو المؤسسات الاجتماعية، فإنّ علينا أن نحلل ما تقدمه المساهمة أو الممارسة لضمان ديمومة المجتمع. وطالما استخدم الوظيفيون، ومنهم كونت ودركايم، مبدأ المشابهة العضوية للمقارنة بين عمل المجتمع بما يناظره في الكائنات العضوية. ويرى هؤلاء أن أجزاء المجتمع وأطرافه تعمل سويا، وبصورة متناسقة، كما تعمل أعضاء الجسم البشري، لما فيه نفع المجتمع بمجمله. وليتسنى لنا دراسة أحد أعضاء الجسم، كالقلب على سبيل المثال، فإنّ علينا أن نبين كيفية ارتباطه بأعضاء الجسم الأخرى ووظائفه. وعند ضخ الدم في سائر أجزاء الجسم، يؤدي القلب دورا حيويا في استمرار الحياة في الكائن الحي. وبالمثل، فإنّ تحليل الوظائف التي يقوم بها أحد تكوينات المجتمع يتطلب منا أن نبين الدور الذي تلعبه في استمرار وجود المجتمع، ودوام عافيته.

3– نظرية الفعل الاجتماعي:

يعد ماكس فيبر من أهم السوسيولوجيين الألمان الذين أخذوا بنظرية الفعل الاجتماعي. وهدف السوسيولوجيا عند ماكس فيبر هو فهم الفعل الاجتماعي وتأويله، مع تفسير هذا الفعل المرصود سببيا بربطه بالآثار والنتائج. ويقصد بالفعل سلوك الفرد أو الإنسان داخل المجتمع، مهما كان ذلك السلوك ظاهرا أو مضمرا، صادرا عن إرادة حرة أو كان نتاجا لأمر خارجي. ومن ثم، يتخذ هذا الفعل – أثناء التواصل والتفاعل – معنى ذاتيا لدى الآخر أو الآخرين، مادام هذا الفعل الاجتماعي مرتبطا بالذات والمقصدية. أي: الإجابة عن سؤال جوهري ألا وهو: كيف يرى الناس سلوكهم ويفسرونه؟ بمعنى أنّ الفعل الإنساني عند فيبر هو السلوك الذي يحمل دلالة ومعنى وهدفا. وأما الفعل المجتمعي، فهو السوك الذي يسلك تجاه الآخرين من خلال مايراه، في سلوك الآخرين، من دلالة ومعنى وهدف.

يمثل هذا التوجه، في مجال التربية والتعليم، رايمون بودون الذي يرفض تصورات المدرسة الوظيفية والمقاربة الصراعية، على أساس أن المدرسة تعيد إنتاج الطبقات الاجتماعية نفسها، وأنها فضاء للصراع بين الطبقة المهيمنة والطبقة الخاضعة.

وينفي رايمون بودون أن تكون هناك روابط قوية بين اللامساواة التعليمية واللامساواة الاجتماعية. بمعنى أن المجتمع ليس هو السبب في هذه اللامساواة التربوية، بل يعود ذلك إلى اختيارات الأفراد أنفسهم، وقناعاتهم الذاتية، وقراراتهم الشخصية، بناء على حسابات الأسر الخاضعة لمنطق الربح والخسارة، وطموحاتها الواقعية، ورغباتها المستقبلية.

فبعد أن كان الحاصلون على الدبلومات والشهادات يحصلون على الوظائف والمناصب المناسبة لهم، ازداد المتعلمون بكثرة، وكثرت الشهادات والدبلومات، وانحصر سوق الشغل. لذلك أصبحت المدرسة لاتوفر للجميع الفرص نفسها من الحظوظ والامتيازات. وليس هذا عائدا إلى أسباب خارجية، مثل: الصراع الطبقي والاجتماعي والثقافي، والهابيتوس العائلي كما يقول أنصار المقاربة الصراعية، بل يعود ذلك إلى اختيارات الأسرة ومنظورها إلى المدرسة من حيث الربح والخسارة. فهناك من الأبناء من يرغب في وضع اجتماعي يشبه وضع آبائهم المهني، ولايجدون حرجا في ذلك أو ظلما.

وهكذا، فالبكالوريا بالنسبة لأبناء الطبقة العمالية تشكل فرصة لاتعوض من أجل تحقيق أرباح اقتصادية، ولكن بالنسبة لأبناء الأطر العليا لاتعني تلك الفرصة ربحا حقيقيا لهم إلاّ إذا استمروا في التعليم الجامعي الطويل. ويعني هذا اختلاف رغبات الأفراد ومنظوراتهم إلى الشهادة أو الدبلوم. فأن تكون معلما بالنسبة لابن عمالي ربح كبير وفرصة لاتعوض، ولكن بالنسبة لأبناء الأطر العليا، فإنّ ذلك لاينفعهم في شيء. ويعود هذا كله إلى مدى الرغبة في المدرسة، والإقبال عليها. ويعني هذا أن اللامساواة المدرسية راجعة إلى الرغبات الفردية، وليس إلى اختلاف الرأسمال الثقافي أو إلى طبيعة الطبقة المهيمنة أو إلى قاعدة إنتاج الطبقات نفسها. وإذا كانت المساواة مغيبة إلى حد ما في المجتمع الليبرالي، فإنّه يتميز بالحرية. أما في المجتمعات الاشتراكية، فهناك مساواة بدون حرية.

4– النظرية الماركسية:

تعد النظرية الماركسية أو المادية التاريخية من أهم النظريات السوسيولوجية الكبرى، تقوم على مبدإ الصراع الجدلي، والمادية التاريخية، وترجيح كفة ماهو مادي واقتصادي على ماهو فكري وثقافي. ومن ثم، تتخذ هذه النظرية توجها ماديا واقتصاديا محضا.

وترتبط النظرية الماركسية بالمفكر الألماني كارل ماركس، وظهرت في سياق تاريخي تميز بالصراع النضالي والجدلي بين البورجوازية مالكة وسائل الإنتاج، والطبقة العمالية صاحبة القوة الإنتاجية، وكان ذلك في القرن التاسع عشر الميلادي، عصر الثورة الصناعية والعمالية. وكان سبب هذا الصراع هو الظلم الذي كانت تعانيه الطبقة البروليتارية؛ من جراء عسف الطبقة البورجوازية وبطشها وتجبرها وتعنتها، إلى جانب ماكانت تمارسه من استغلال واستيلاب ومعاملة سيئة في حق هؤلاء العمال، وطردهم من أعمالهم ووظائفهم ومناصبهم. ومن هنا، جاءت الماركسية للتعبير عن هموم الطبقة العمالية ومحنها، وتجسيد آمالها وطموحاتها وتطلعاتها.

ويمكن التمييز بين ماقبل الماركسية التي كانت عبارة عن تصورات ميتافيزيقية وتأملات مثالية ساذجة وحالمة، ومرحلة الماركسية العلمية مع كارل ماركس وأنجلز، وقد تميزت هذه النظرية بطابعها العلمي واليقيني، بل إنها قادرة على الاستشراف والتنبؤ. وبالتالي، فقد كانت الماركسية نظرية سوسيولوجية ثورية وراديكالية لاتؤمن بتفسير العالم أو المحافظة عليه، بل كانت تدعو إلى تغييره جذريا، في إطار منظور مادي تاريخي وجدلي، يؤمن بالعمل والممارسة، مع السعي الجاد إلى القضاء على الليبرالية والفكر البورجوازي الفردي. وأكثر من هذا، فقد وضعت الماركسية تطورا تاريخيا للبشرية التي قطعت أطوارا عدة هي: المرحلة المعاشية، والمرحلة العبودية، والمرحلة الإقطاعية، والمرحلة البورجوازية، والمرحلة الاشتراكية، وبعد ذلك، تنتقل الإنسانية إلى المرحلة الشيوعية بعد القضاء على الملكية الخاصة، وإزالة الدولة، والقضاء على الطبقات الاجتماعية، وإشاعة الأموال والنساء.

وما يلاحظ على هذه السوسيولوجيا أنها رؤية ثورية تقويضية وراديكالية أساسها التغيير الجدلي انطلاقا من المادية التاريخية، لكن يغلب عليها الطابع الميتافيزيقي، والرؤية الشعرية الحالمة، والطوباوية الخيالية، وانفصال النظرية عن الواقع، وفشل التنبؤات الماركسية في تحقيق غاياتها ومراميها وأهدافها البعيدة. والدليل على ذلك أن تحولت الدول الاشتراكية إلى دول رأسمالية أو دول اقتصاد السوق بدلا من تحولها إلى دول شيوعية.

ثانياً، النظريات السوسيولوجية المعاصرة:

1– النظرية الصراعية:

تنبني المقاربة الصراعية على مفهوم الصراع والاختلاف حول السلطة والقوة. فالمجتمع غير خاضع لمبدإ النظام والتوازن والانسجام كما يقول الوظيفيون (دوركايم، وبارسونز، وميرتون)، بل قائم على الصراع والاختلاف والتوتر.

وترتكز المقاربة الصراعية على التوجه الماركسي الجديد، وعلى أساس أن المدرسة هي فضاء للصراعات الطبقية والاجتماعية واللغوية والرمزية، أو هي فضاء للصراع حول السلطة والقوة. وتتبنى هذه المقاربة التصورات النقدية في ضوء مقترب ماركسي جديد. وتنطلق هذه المقاربة من أن العلاقات الاجتماعية هي التي تتحكم في التوجيه المدرسي، وهي التي تساهم في تحقيق النجاح أو تكون وراء الإخفاق الدراسي. ومن ثم، فالأصل الاجتماعي عنصر مهم في التحليل السوسيولوجي، لكنه لايعتبر العنصر الوحيد في فهم الظاهرة التربوية وتفسيرها اجتماعيا. فالمدرسة، في منظور هذه النظرية، مثل آلة لإعادة إنتاج اللامساواة الطبقية والاجتماعية.

2– النظرية التفاعلية الرمزية:

إذا كانت البنائية ترى أن المجتمع هو الذي يؤثر في الذات، فإن التفاعلية ترى عكس ذلك، أنّ الذات هي التي تؤثر في المجتمع. بمعنى أن الناس هم الذي يؤسسون المجتمع بأفعالهم وتصرفاتهم وسلوكياتهم الواعية والهادفة. ويسمى هذا المنظور بالتفاعلية الرمزية، لأن الأفراد في تواصلهم وتفاعلهم، يستخدمون الرموز والإشارات والعلامات والأيقونات والإيماءات. ومن ثم تتخذ أفعالهم طابعا نسقيا زاخرا بالدلالات السيميائية والرمزية التي تستوجب الفهم والتأويل. وتعد اللغة أهم عنصر لدى هؤلاء، مادامت تؤدي دورا تواصليا ورمزيا.

وينطلق أنصار هذه النظرية التفاعلية الرمزية من أن المجتمع هو الذي يشكل الأفراد ويصنعهم، ولكن للفرد أيضا دور وفعل إبداعي في صنع هذا المجتمع بأفعاله الرمزية والتواصلية، كما يرى رائد هذه المدرسة وليام توماس. فهناك تفاعل متبادل بين الذات والمجتمع، مثل تفاعل المدرس مع التلميذ بشكل مزدوج.

ويقصد بالتفاعل الرمزي ذلك التفاعل الذي يقوم بين الأفراد، ضمن نسق مجتمعي معين، ويظهر ذلك التفاعل في مجموعة من السلوكيات التي يقوم بها فاعل ما، في علاقة بالسلوك الذي يصدر عن الفاعل

الآخر. وبتعبير آخر، تصدر عن الذوات المتبادلة مجموعة من الأفعال وردود الأفعال في تماثل مع بنية المجتمع. وتتخذ هذه الأفعال معاني ودلالات رمزية متنوعة تستلزم الفهم والتأويل.

الفصل الخامس: النظم الاجتماعية.

لا يوجد مجتمع إلا وتوجد فية بعض النظم الاجتماعية وذلك لأهميتها، فهي تسعى لتلبية حاجات الإنسان المتعددة – وتنظم السلوك – وتحدد العلاقات الاجتماعية في مختلف جوانب الحياة وبأساليب منتظمة، ولأنها تسعى الى ربط أجزاء المجتمع المختلفة. ويستخدم بعض علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا عدداً من المصطلحات عند الحديث عن النظم الاجتماعية، مثل : المؤسسات الاجتماعية، النسق الاجتماعي عند تحليل النظم أو المؤسسات، وهم يشيرون إلى نفس الظواهر، ولكن مصطلح (النسق) يختلف فهو أكثر عمومية من النظم أو المؤسسات.

تعريف النظام الاجتماعي:

لم يتخذ العلماء تعريفاً واحداً للنظام الاجتماعي، يتفقون عليه ويسلمون به. ومن أبسط التعاريف التي وضعت للنظام الاجتماعي أنّه طريقة مقننة للسلوك الاجتماعي. أو الطرق القائمة والمنظمة لتلبية حاجات انسانية معينة وضرورية.

خصائص النظام الاجتماعي:

يلخص الشكل الموالي أهم خصائص النظام الاجتماعي.

الشكل رقم 2: خصائص النظام الاجتماعي.

وظائف النظم الاجتماعية:

يلخص الشكل الموالي أهم وظائف النظام الاجتماعي.

الشكل رقم 3: وظائف النظام الاجتماعي.

عناصر النظام الاجتماعي:

1- عناصر النظام الاجتماعي عند جراهام سيمنر

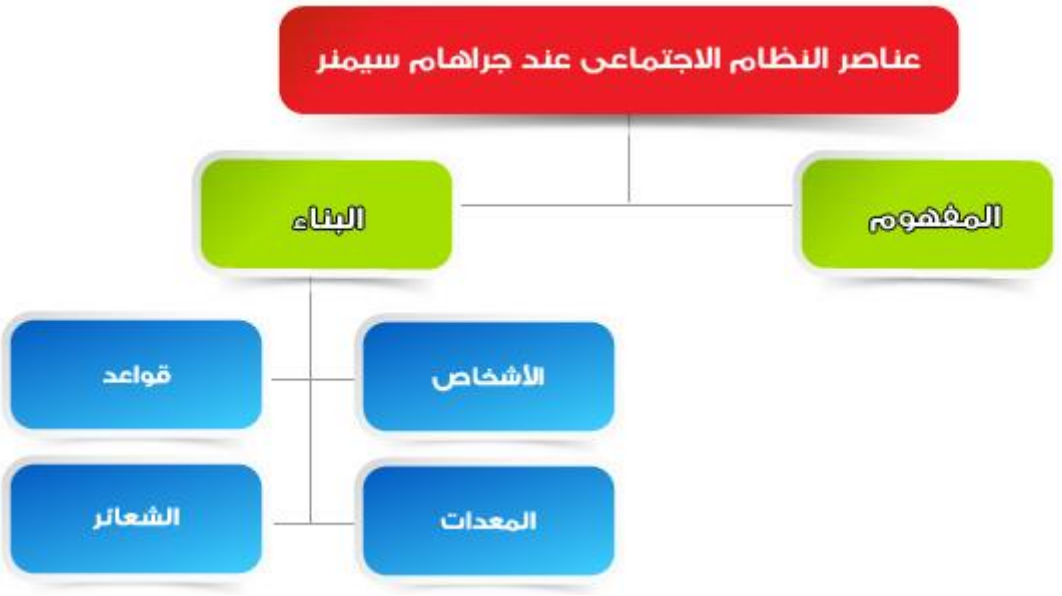

2– عناصر النظام الاجتماعي عند جورج لندبرج.

أنواع النظم الاجتماعية:

1– النظام الأسري:

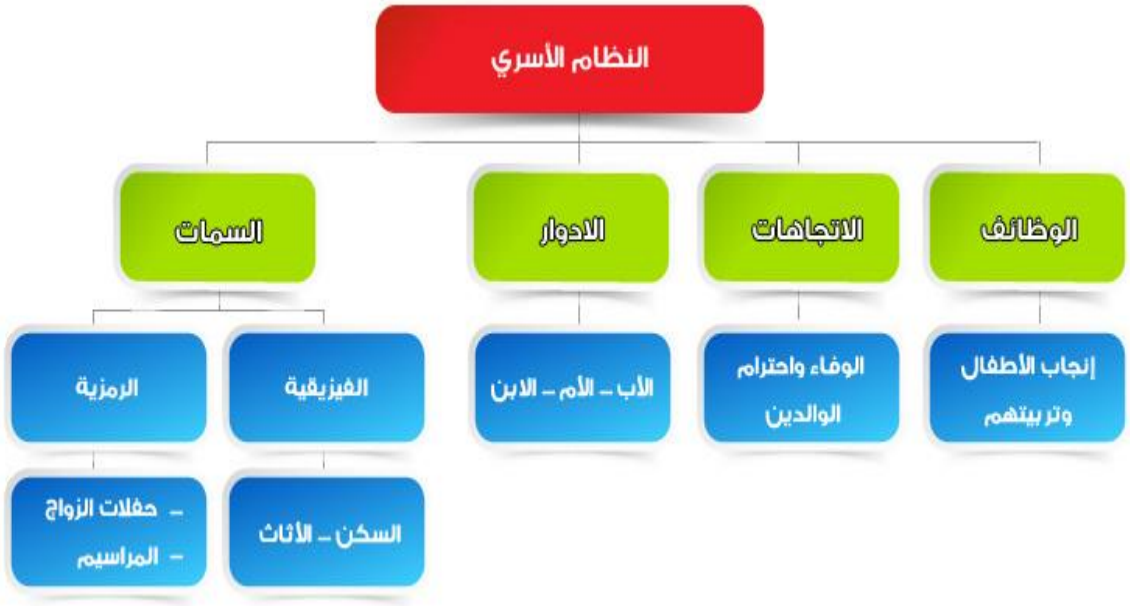

2– النظام الاقتصادي:

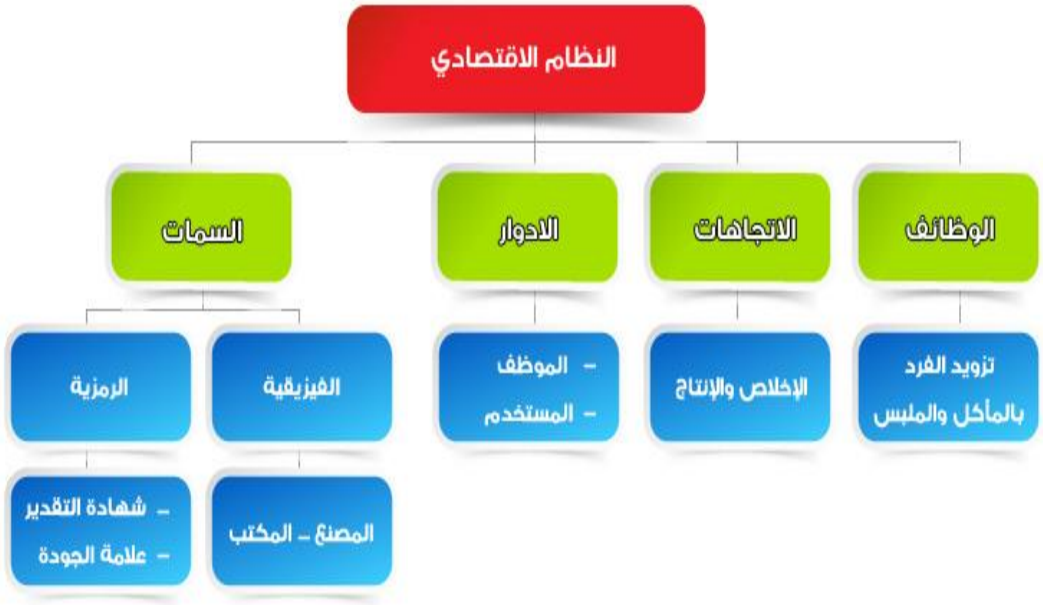

3– النظام السياسي:

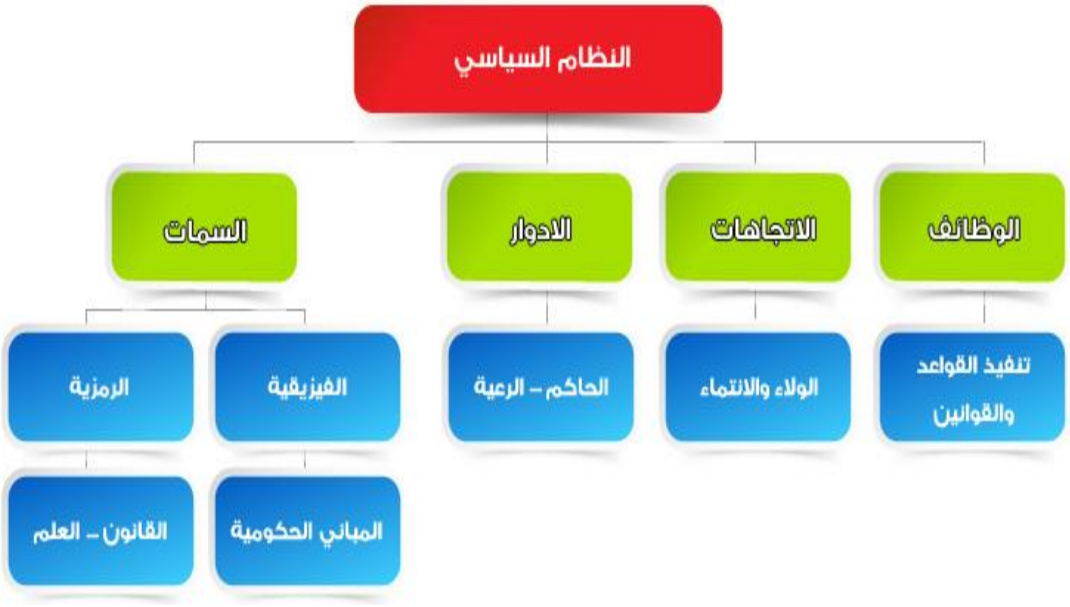

4- النظام الديني:

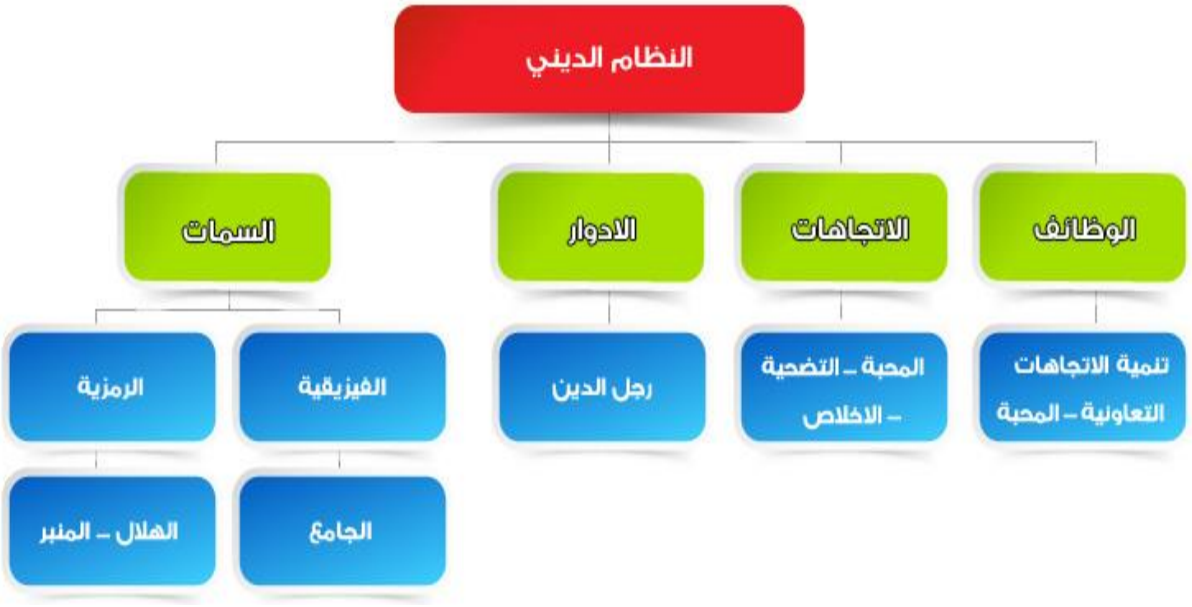

5- النظام التربوي:

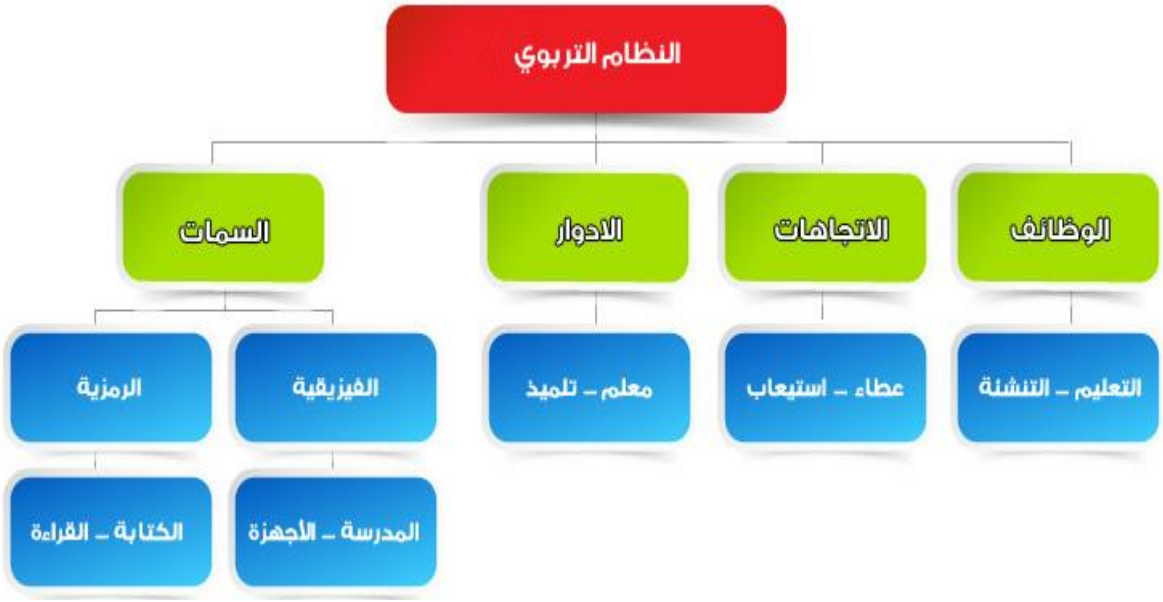

النظام الأسري:

يعتبر النظام الأسري من أهم وأقدم النظم الاجتماعية. فللأسرة أهمية في حياة الفرد والجماعات من حيث أنها هي الوحدة البنائية التي تنشأ عن طريقها الجماعات الاجتماعية. وهي التي تنظم سلوك الأفراد بما يتلاءم مع الأدوار الاجتماعية. وتعتبر النتيجة الضرورية للزواج، تزود الطفل بالقيم التي تساعده على التكيف. كما أنّها ظاهرة عامة في كل المجتمعات الإنسانية.

وتعرّف الأسرة على أنّها جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشتركة وتعاون اقتصادي، ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع، وتتكون الأسرة في الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة وطفل. وتؤدي الأسرة قديماً أربع وظائف، هي :

- تنظيم النشاط الجنسي.
- الإنجاب.
- التنشئة الاجتماعية : بدنياً – اللعب – اكسابهم عناصر ثقافية من لغة وقيم.
- وظيفة اقتصادية، وهي تأمين الاحتياجات المادية.

أمّا حديثا فبعض الوظائف التقليدية تغيرت أو تولتها مؤسسات أخرى بشكل جزئي. كما أنّ المجتمع أخذ يسلب وظائف الأسرة الواحدة بعد الأخرى، ويوجد لكل وظيفة نظام أو هيئة خاصة.

وتنقسم الأسرة الى نمطين:

الأسرة الممتدة: تتكون عادة من الزوج والزوجة وأبنائهما الصغار، كما تضم المتزوجين منهم مع أبنائهم، ويقيم الجميع في منزل واحد غالبا. ويلاحظ أن الأسرة الممتدة تتكون عادة من ثلاثة أجيال أو أكثر من نفس الأسرة يتشاركون في المنزل والموارد الاقتصادية.

الأسرة النووية: تتكون من الأب والأم وأبنائهما غير المتزوجين، ويكثر هذا النمط من الأسر في المجتمعات الحضرية والصناعية.

أنماط الزواج:

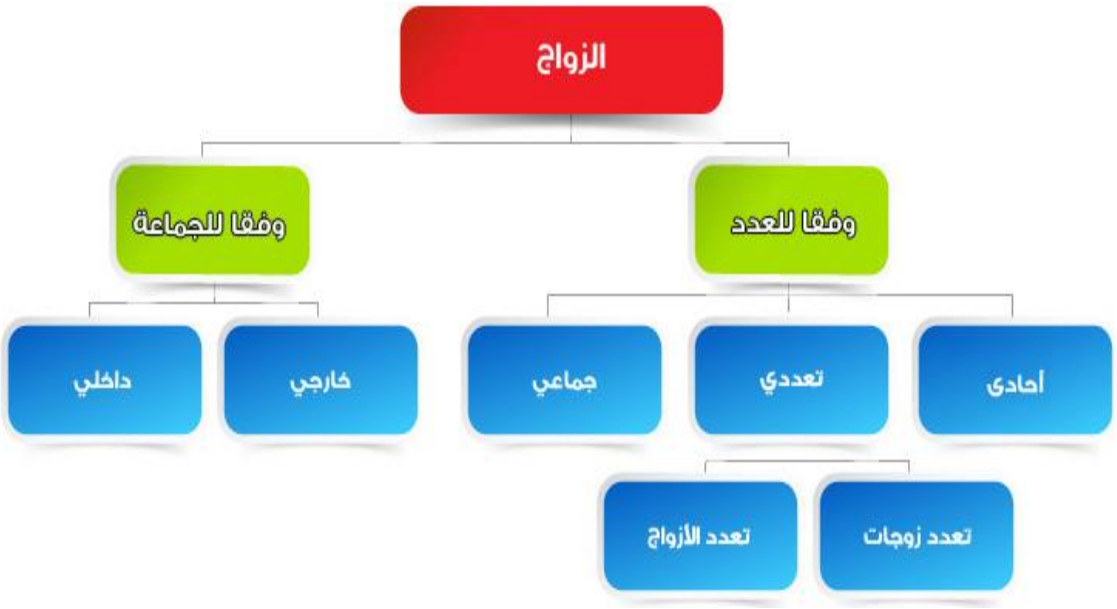

والأسرة في الريف ممتدة متعددة الزوجات، فقد يتزوج الرجل بأربع زوجات وينجب منهم أبناء ثم يتزوج الذكور منهم وتعيش زوجاتهم معهم في نفس السكن وينجبوا أطفال، وتشكل في النهاية وحدة قرابية متكاملة في دار واحدة. وتنشأ بينهم أنماط من العلاقات الاجتماعية. ولكن بسبب التغيرات والنماء الاقتصادي، وانتشار التعليم، بدأت ظاهرة تعدد الزوجات وكثرة الإنجاب تتقلص وأصبحت الأسرة النووية هي الغالبة في المدينة.

النظام التربوي:

هو مجموعة من العمليات التي توجه بوجه خاص لنقل المعرفة والمهارات والقيم بطريقة رسمية نظامية، كما يحدث في التعليم وبطريقة غير رسمية، ويهدف إلى إعداد الأفراد منذ طفولتهم كي يصبحوا أعضاء فعاليين ومشاركين بإيجابية في المجتمع. والنظام التربوي أكثر شمولاً في مضامينه من النظام التعليمي، فالنظام التربوي نظام اجتماعي يقوم بدور وظيفي في إعداد وتنشئة النشئ، من خلال وسائل ومؤسسات وأجهزة لها فاعلية في تكوين الفرد وتهيئته، من الناحية الجسمية والعقلية والأخلاقية، ليصبح عضوًا فاعلاً في مجتمعه.

1– وظائف النظام التربوي:

– نقل التراث الثقافي من الأجيال الماضية إلى الأجيال الحاضرة.

– تنمية القيم والاتجاهات المرغوبة اجتماعياً.

– صياغة شخصية المواطن بما يتفق مع المجتمع.

– توجيه ميول الأفراد وتنمية قدراتهم بما يخدم قضايا المجتمع.

– مواجهة مشكلات المجتمع المتعددة.

– غرس الفضيلة والقيم الأخلاقية في الأبناء.

2– خصائص النظام التربوي

النظام الاقتصادي:

هو ذلك النظام الذي يهتم بإنتاج الثروة وتوزيعها واستهلاكها بين أفراد المجتمع ويعتبر النظام الاقتصادي العمود الفقري للمجتمع. وتختلف الأنظمة الاقتصادية من مجتمع لآخر. كما أنّ للنظام الاقتصادي جانب كبير من الأهمية لأنه:

– يضم إليه من نشاط الإنسان ما يتعلق بالإنتاج الرعوي والزراعة والصناعة.

– يضم أنشطة التوزيع المختلفة سواء ما يتعلق بالجملة أو القطاعي أو الجماعي أو الفردي.

– تديرها الدولة أو الهيئات التعاونية.

1– عمليات النظام الاقتصادي:

– عملية الإنتاج: وتتضمن الحصول على الموارد أو تحويلها إلى سلع نافعة، وتشمل ثلاث عناصر هي: الأرض – العمل – رأس المال، وأحياناً تنظيم الإنتاج والاستثمار.

– عملية التوزيع: وتعني توزيع أو نقل حاصل الإنتاج، وترتبط بالملكية وأنواعها. وتشمل على عمليات فرعية، هي : المبادلة – المقايضة – إعادة التوزيع.

– عملية الاستهلاك: وتعني استخدام نتاج عملية الإنتاج من سلع وخدمات، وترتبط بالقوة الشرائية وبعلاقة الفرد بالإنتاج والتوزيع.

كل هذه العمليات مترابطة وعالمية، إلا أن المجتمعات تختلف فيما ينتج وكيف ومن يقوم به، كما تختلف في أسس التوزيع وأنماط الاستهلاك.

2– مراحل تطور المجتمعات من الناحية الاقتصادية:

النظام السياسي:

يقصد به طريقة الحكم في المجتمع، وتحديد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، والقوانين التي تضبط العلاقة بين أبناء المجتمع. والنشاط السياسي يقوم بتأمين الحياة الآمنة، والحماية من العدوان الداخلي والخارج، ونشر العدالة.

ولقد تعددت أنظمة الحكم والسياسة في مجتمعاتنا الحاضرة وظهرت في الفكر السياسي المعاصر نظريتان هما: النظرية الرأسمالية، والنظرية الماركسية أو الشيوعية. أمّا المجتمعات الإسلامية فتتميز بنظام سياسي نابع من الشريعة الإسلامية.

الفصل السادس: العمليات الاجتماعية والثقافية

إذا كان كل من البناء الاجتماعي والنسق الثقافي يتضمنان معنى الثبات، فإنّ العمليات الاجتماعية والثقافية تشير إلى أنماط التفاعل المتكررة المستمرة، التي توجد عادة في الحياة الاجتماعية والثقافية، وتتضمن معنى التغير أو التحول أو الدينامية. وعلى الرغم من وجود الترابط والتداخل الوثيق بين كل من العمليات الاجتماعية والثقافية، نتيجة لأن التفاعل الاجتماعي الثقافي يتضمن في الواقع ثلاثة عناصر مترابطة ومتفاعلة ومتساندة، هي: الثقافة، والمجتمع، والشخصية.

أولاً، العمليات الاجتماعية:

يقصد بالعمليات الاجتماعية، أنماط التفاعل المتكررة التي توجد عادة في الحياة الاجتماعية. وبتعبير آخر الأنماط الهامة المتكررة للسلوك الاجتماعي، التي تميز التفاعلات بين الأفراد والجماعات. وتنشأ العمليات الاجتماعية نتيجة التفاعل بين الأفراد عن طريق الإشارات واللغة. وليس من الضروري أن تتم هذه الاتصالات عن طريق علاقات الوجه للوجه، إذ يمكن أن تتم الاتصالات بعدة طرق، مثل التليفون، أو الرسائل والكتب، الرسم، أو عن طريق قطعة من الموسيقى.

ونجد أن عمليات التفاعل الاجتماعي بين الناس قد تصنف بطرق مختلفة، منها العمليات الترابطية، التي تؤدي إلى التقارب بين الناس، والعمليات الانفصالية، التي تؤدي إلى الانقسام. وكذلك تختلف العمليات الاجتماعية التي تقوم بين الأفراد في طبيعتها ومظهرها، فمنها ما يؤدي إلى التنافر والتفكك، مثل عمليات التنافس والصراع، وما يؤدي إلى التجاذب والتكامل، كعمليات التعاون والتوافق الاجتماعي.

والعمليات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع، ليست غاية في حد ذاتها، بل هي مؤقتة، تؤدي إلى تكوين علاقات أكثر دواما واستمرارا. ولا تكمن أهميتها في حد ذاتها بقدر ما تكمن فيما تسهم به من استمرار في الحياة الاجتماعية. فالتنافس بين الأفراد، مثلاً، يؤدي إلى تفوق بعضهم على بعض مما يؤدي إلى ظهور السيادة. وقد يؤدي إلى عدم تفوق أحد من المتنافسين والوصول إلى حل وسط يرتضيه الجميع، ويؤدي التعاون كذلك إلى نجاح المتعاونين وتفوقهم مثلاً أو ارتفاعهم في السلم الاجتماعي.

والعمليات الاجتماعية كثيرة ومعقدة. وستناول فيما يلي دراسة هذه العمليات الرئيسية التي تقوم بدور هام في حياة المجتمعات، وهى: التعاون، المنافسة، التوافق الاجتماعي، والتغير الاجتماعي.

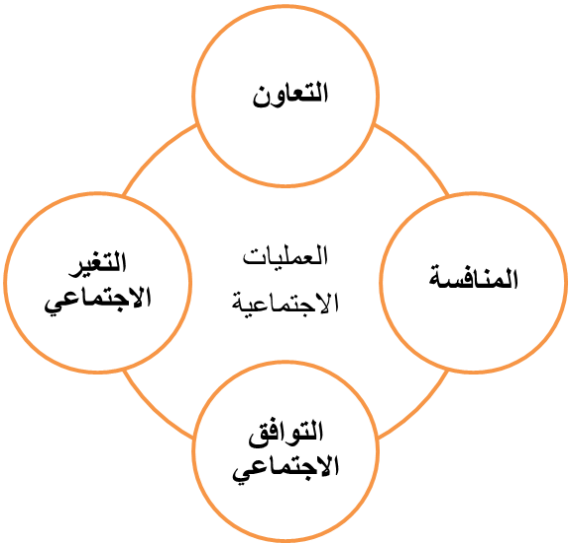

1- التعاون:

تكون عملية التعاون نتيجة للتفاعل بين الأفراد في المجتمع. ويقصد بالتعاون، تلك الجهود المشتركة بين فردين أو أكثر من أجل تحقيق أهداف أو مصالح مشتركة. وبتعبير آخر، التعاون هو العملية التي عن طريقها يحاول الأفراد أو الجماعات تحقيق أهدافهم من خلال المساعدة المتبادلة. وتتميز الحياة الاجتماعية بوجود قوى مختلفة تعمل على اتصال الأفراد بعضهم ببعض، ويتميز الاتصال عادة بنوع من التضامن أو التعاون. فالناس عندما يتصلون ببعضهم البعض، وحين يعملون معاً من أجل تحقيق هدف مشترك، سمي هذا التصرف أو هذه العملية تعاوناً.

وقد يأخذ التعاون أشكالاً عديدة، لعل أهمها هذا الشكل الذي يبرز في مجال العمل. فنحن نصف الأفراد بأنهم متعاونون إذا اشتركوا في عمل شيء واحد. بمعنى أنهم يؤدون وظيفة معينة، حيث يقومون جميعاً بنفس العمل. إلاّ أنّ هناك نوعاً آخر من الأعمال يتطلب أنواع مختلفة من العمل، كأن يعمل الأفراد معاً لتحقيق غاية عامة على أساس أن كلاً منهم يعمل عملاً متخصصاً مخالفاً لما يعمله الآخر، فالتعاون هنا قائم برغم اختلاف عمل كل من الأفراد المتعاونين. ونلاحظ أن هذا النوع الأخير من التعاون ناتج عن التخصص في المجتمع الحديث وتقسيم العمل.

2- المنافسة:

تعتبر عملية المنافسة من أهم العمليات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع، وتؤدي إلى التنافر والتفكك، بل أنها قد تعرض النظام الاجتماعي إلى نوع من الخلل الوظيفي. ويمكن تعريف المنافسة بأنها عبارة عن الجهود التي يبذلها الأفراد أو الجماعات من أجل الفوز أو التفوق على بعضهم البعض، والحصول على المكافآت التي تعد محدودة من حيث الكم. أي أن التنافس هو عملية تزاحم الأفراد

والجماعات من أجل الحصول على نفس الأهداف أو المصالح، في الوقت الذي تكون فيه الفرص محدودة.

وفي عملية التنافس، نجد أن كل فرد يسعى إلى تحقيق المكسب أو الهدف لنفسه كاملاً، أو أخذ نصيب الأسد منه، سواء كان هذا المكسب أو الهدف يتمثل في الحصول على المال، أو القوة، أوالنفوذ أو تحقيق الأمن، أو غير ذلك من المكاسب أو الأهداف. كما أنّ المتنافسين عادة ما يحاولون تحقيق أهدافهم، دون إلحاق الضرر بالآخرين أو تدمير منافسيهم، وذلك على النحو الذي يحدث عندما تشتد عملية التنافس بين الأفراد أو الجماعات، ويتحول التنافس بينهم إلى نوع من الصراع.

ويمكن تعريف الصراع، بأنه العملية التي عن طريقها يحاول الأفراد أو الجماعات تحييد أو إلحاق الضرر أو التخلص من منافسيهم. أي أن الصراع يشير إلى اتجاه الأفراد أو الجماعات نحو التفوق أو الفوز على غيرهم من الأفراد أو الجماعات المعارضة، وإبعادهم عن المنافسة بأية طريقة ممكنة.

3- التوافق الاجتماعي:

يستخدم علماء الاجتماع مصطلح التوافق للتعبير عن عملية التراضي أو الصلح بين الأطراف المتنافسة أو المتصارعة سواء كانوا أفراداً أو جماعات. وعلى هذا الأساس لا يطلق هذا الاصطلاح إلاّ على من كانوا في حالة متنافسة سابقة أو عداء سابق لوقوع التوافق.

ويمكن تعريف التوافق بأنه أحد العمليات الاجتماعية التي تعني بتقليل الصراع واستعادة التفاعل السلمي، أي أنه التكيف السلمي بين جماعات متنافسة أو عدائية. كما يمكن تعريف التوافق بأنه النهاية المؤقتة أو الدائمة للصراع الذي يسمح للجماعات المتعارضة بأن تؤدي وظائفها بجانب بعضها البعض بدون أي عداء واضح. مما يشير إلى أن التوافق قد لا يعمل على إزالة أسباب الخلاف نهائياً، ولكنه يعمل على توقف الصراع بشكل مؤقت أو إخفائه عن الظهور.

ونجد أن هناك صور سلوكية مختلفة من التوافق يلجأ إليها الأفراد أو الجماعات بهدف التوافق مع ظروف الحياة المتغيرة. أي أن للتوافق أشكالاً متعددة تتفق مع نوع العلاقة بين الأطراف المتنازعة من حيث تفوق أحدها قوة أو نفوذا، كما تتفق مع نوع الثقافة السائدة في المجتمع. وقد يتخذ التوافق عدة صور سلوكية أو أشكال مختلفة، مثل التوافق أو التقريب بين وجهات النظر، والوساطة والتحكيم، والهدنة، والتسامح، والتعاقد، والعملية القضائية. بالإضافة إلى أن عملية التوافق قد يكون لها أشكال أخرى، مثل الاستسلام، والتبرير.

ويعد التوافق أو التقريب بين وجهات النظر ، أحد أشكال عملية التوافق التي عن طريقها يتم الاتفاق على أن تقوم الجماعة المتنازعة بالحصول على بعض أهدافها دون الحصول عليها جميعاً، وذلك من أجل التخفيف من حدة الخلافات أو الصراعات. وتقوم عملية الوساطة على أساس الجمع بين الأطراف المتنازعة لإيجاد الرغبة بينهم في حل خلافاتهم. ويمكن للوسيط أن يقترح أساساً للتوفيق إذا لم يتمكن كل من الفريقين من الاتفاق على أسس معينة، واقتراحات الوسيط في هذه الحالة غير ملزمة لأي من الطرفين، وذلك على عكس التحكيم، حيث نجد أن قرار هيئة التحكيم يكون ملزماً للأطراف المتنازعة، وتتكون هيئة التحكيم كما هو الحال في الوساطة من أفراد غير متحيزين لأي من الأطراف المتنازعة، بل إن عدم التحيز هنا ضروري جداً لأن قرار الهيئة ملزم.

أما الهدنة، فهي شكل من أشكال التوافق يشير إلى حدوث الاتفاق بين الأطراف المتنازعة على الكف عن الخلاف أو الصراع على الرغم من عدم القدرة على حل المشكلات التي أدت إلى هذا الخلاف أو الصراع.

ويحدث التسامح عندما يكون من الصعب أن يتنازل كل من الفريقين المتنازعين عن بعض الأهداف أو المصالح التي يرغبون في تحقيقها. ويتفق الطرفان على التسامح عادة بعد أن يكونا قد قطعا مرحلة طويلة من الخلاف والصراع دون أن يصل أي منهما إلى نتيجة قاطعة مما يدفعهما إلى الرغبة في الكف عن صراعهما، رغبة في إعادة الأمن والسلام، مع احتفاظ كل منهما بشعوره واتجاهاته نحو الآخر، ودون محاولة أي من الطرفين قبول أو تعديل أنماط سلوك الطرف الآخر. وعادة ما يحدث التسامح نتيجة لصعوبة إقناع أحد الطرفين للآخر بوجهة نظره مع رغبته في الوقت نفسه في تحقيق عدد من المصالح المشتركة، التي لا يمكن تحقيقها مع استمرار النزاع أو الخلاف.

ويشير التعاقد إلى هذا الاتفاق الذي يحدث بين مجموعتين من الأفراد أو الجماعات، على أن يقوم كل منهما أو لا يقوم بعمل شيء محدد، في مقابل الحصول على بعض المزايا أو المكاسب من المجموعة الأخرى. ومن ثم يؤدي التعاقد إلى التخفيف من حدة الخلافات أو الصراعات التي قد تحدث بين المجموعتين إذا لم يتم بينهما هذا الاتفاق المشترك.

وقد يلجأ الأفراد أو الجماعات المتنازعة إلى القضاء كوسيلة لحل مشكلاتهم والفصل فيها، مما يؤدي إلى إزالة أسباب الخلافات وإعادة الانسجام بين الأطراف المتنازعة . وأحياناً ينتهي الصراع بالاستسلام، وذلك في حالة انتصار أحد الطرفين المتنازعين، ولا يكون أمام المغلوب وقتئذٍ إلا أن

يستسلم ويخضع للشروط التي يفرضها المنتصر، فإذا لم يرض بها واصل صراعه مع احتمال القضاء عليه كلية. وعادة ما يكون الاستسلام إما للقوة المادية أو للتهديد الذي يصدر عن طرف يشعر بقوته عن الآخر، كما قد يكون استسلاماً للقوة العقلية إذا كان استسلاماً للرأي.

وبالإضافة إلى أشكال التوافق الاجتماعي السالفة الذكر، نجد أن هناك شكل آخر للتوافق يطلق عليه عملية التبرير. وفي هذا الشكل يبرز العامل النفسي لإحلال التوافق محل النزاع، على أن يتم ذلك على أساس وضع أسس لتبرير هذا التوافق عن طريق إبراز معلومات جديدة عن موضوع الخلاف تعمل على إرضاء كل من الطرفين. وفي الحالات التي يتم فيها هذا التوافق تحل الصداقة محل العداء، ولكن يصعب مع ذلك توافر التوافق الكامل نظراً لصعوبة توحيد التفكير بين الأطراف المتنازعة، فهم وإن كانوا سيعملون معاً ويخدم كل منهم الآخر، إلا أن كل منهم سيظل محتفظاً بطريقته في التفكير وبوجهة نظره.

4- التغير الاجتماعي:

يعتبر موضوع التغير الاجتماعي من أهم الموضوعات التي شغلت علماء الاجتماع، ويستدل على ذلك من كثرة التعاريف التي وضعها العلماء لمفهوم التغير الاجتماعي، بالإضافة إلى تعدد النظريات السوسيولوجية التي تحاول تفسير أسباب التغير الاجتماعي.

ويشير التغير الاجتماعي إلى العملية التي عن طريقها يحدث تحول أو اختلاف أو تطور، سواء في البناء الاجتماعي أو العلاقات الاجتماعية، خلال فترة من الزمن. ونلاحظ أن هذا التغير الاجتماعي ليس إلا جزءاً من عملية أكبر وأوسع من عمليات التغير في المجتمع، وهي تلك التي يطلق عليها اسم التغير الثقافي، والتي تشير إلى التغير في ثقافة المجتمع.

ومن الملاحظ أن المجتمع الإنساني شأنه في ذلك شأن الأفراد ومظاهر الطبيعة الأخرى، في تغير دائم. إذ أن التغير سنة من سنن الوجود. ولا يأخذ التغير صورة واحدة في جميع الأحوال، فتارة يكون هادئاً، يحدث تدريجياً بشكل يكاد يكون لا شعورياً، وتارة يكون عنيفاً جارفاً. وقد يكون التغير شاملاً عاماً، وقد يقتصر على ناحية أو عدة نواح من الحياة الاجتماعية.

أ- مصادر التغير الاجتماعي:

1 . البيئة الجغرافية وما تتضمنه من مناخ وتضاريس وتربة ومواد أولية، وجميعها تؤثر في مدى التغير الاجتماعي، على الرغم من أنها من النادر أن تسبب هذا التغير.

2 . الأفكار يمكن أن تكون أحد مصادر التغير الاجتماعي، عن طريق تفاعلها مع المصادر أو العناصر الأخرى المسببة للتغير الاجتماعي.

3 . التكنولوجيا.

4 . التجديد الثقافي الذي يأخذ أشكالاً متعددة مثل الاكتشاف والاختراع.

5 . الفعل الإنساني، بمعنى أن الأفراد والجماعات والهيئات (مثل الحكومة) تستطيع أن تؤثر تأثيراً كبيراً في عملية التغير الاجتماعي.

ثانيا: الجماعات الاجتماعية:

الجماعات الاجتماعية موجودة في كل مكان وهي تختلف فيما بينها من حيث الشكل وطرق التنظيم والوظائف التي تقوم بها. فمن الجماعات ما هو صغير كالجماعات الأولية "الأسرة"، ومنها ما هو كبير، ومنها ما ينشأ بطريقة تلقائية، ومنها ما ينشأ بطريقة مقصودة، ومنها ما يؤدي وظائف واحدة أو متعددة. وتشير الجماعة إلى مجموعة من الأفراد يرتبطون معاً بمجموعة معينة من الصلات والعلاقات الاجتماعية، قد تكون كبيرة (كالنقابات – الشركات – المصانع)، أو تكون صغيرة كأفراد الأسرة.

1– أهمية الجماعة بالنسبة للفرد في نموه الاجتماعي:

- الجماعة تساعد الفرد في سلوكه بإكسابه القوة والنفوذ.
- عن طريق التفاعل الاجتماعي تتكون الصداقة الجديدة.
- يكتسب الفرد المعايير الاجتماعية للسلوك.
- يتعلم الفرد السلوك الاجتماعي المناسب.
- يتعلم الكثير عن نفسه وعن زملائه.
- يجد الثقة والرضا في عمله بين الجماعة.
- نمو المهارات بدرجة أكبر في داخل الجماعة.
- ينمو التفكير والتغيير في النفس والقدرة على حل المشاكل.
- عن طريق التفاعل يكتسب الفرد الاتجاهات، وتتغير وتنمو فلسفة الحياة، وتتعدل وتكتسب القيم وتنمو المبادئ.
- يشعر الفرد بالاعتزاز والقيام بمسؤوليته وتحقيق المكانة الاجتماعية كمواطن صالح.
- يستمد الفرد قوة هائلة وشعوراً بالأمن والطمأنينة داخل الجماعة.

2– أهمية الجماعة بالنسبة للمجتمع:

– الإسهام في نمو وتقدم وتحسن المجتمع واستمراره.

– المؤسسات جميعها (كالمدارس – المصانع) هي نتيجة لجهود المجتمع.

– جميع أوجه النشاط الاقتصادية والاجتماعية تقوم على أساس التفاعل الاجتماعي.

– سعادة الإنسان لا تتحقق إلا عن طريق التفاعل الاجتماعي.

– من أهم العوامل التي تساعد على استمرارية الجماعة في المجتمع وجود الترابط والتماسك بين أفرادها، مثال: الأسرة يتميز أفرادها بالترابط والمحبة والاهتمام.

3– معايير الجماعة:

يجتمع الناس في جماعات تحكم المعايير الاجتماعية سلوكهم داخل الجماعة، لأن كل جماعة لها معايير خاصة بها لا يمكن للفرد الخروج عنها أو تغييرها. فسلوك كل فرد يتأثر بسلوك الآخرين وأحياناً يكون التأثير غير مباشر، مثال: سلوك شخص جديد في جماعة معينة حين يخضع لسلوك الآخرين، وقد يكون التأثير مباشراً وأكثر وضوحا، مثال: عند قبول شخص ما بدعوة شخص آخر للذهاب للسينما أو السوق أو التصويت له. وقد يكون أفراد الجماعة غير واعين أحياناً بتأثرهم بسلوك الآخرين.

وفي أي جماعة هناك قوانين مقبولة أو معايير للسلوك التي تحدد كيف يجب على الفرد أن يسلك، فالقوانين لا تحتاج أبدا إلى التذكير. مثال: قول شكراً عندما تقدم لك خدمة معينة – ارتداء الملابس في الجامعة. وللمعايير آثار قوية على السلوك الاجتماعي برغم عدم إدراك الأفراد لذلك، مثال: قراءة الصحف في المنزل وليس في داخل الفصل المدرسي التزاما بالمعايير.

4– أنواع الجماعات الاجتماعية:

أ– الجماعات الأولية

تحدث عن خصائصها العالم شارلز كولي (وهي كالأسرة – جماعة اللعب – الجوار) ورأى أنها ظاهرة عامة توجد في جميع التنظيمات الاجتماعية. ومن خصائصها:

– جماعات تقوم على علاقة الوجه للوجه المباشر بين أعضاء الجماعات.

– الاتصال فيها اتصال قوياً مباشراً وتقوم على أساس التعاون بين أفرادها.

– حرية التعبير عن الشخصية والعواطف وينصهر الأفراد في وحدة مشتركة.

– هدف الجماعة المصلحة العامة.

– صغيرة الحجم.

– هذه الجماعات توجد في جميع التنظيمات الاجتماعية.

– يوجد بين أعضائها ما يسمى (الشعور بالنحن) وهذا الشعور يجعل الشخص داخل الجماعة ويفصله عن الجماعة الخارجية.

– الجماعة الأولية تلعب دوراً مهماً في توجيه حياة الإنسان والشعور بالأمن واكتساب مقومات شخصيته منها.

ب– الجماعات الثانوية:

وهي جماعة تتكون من عدد من الناس الذين يجمعهم قليل من الروابط العاطفية، ويجتمعون من أجل تحقيق بعض المصالح أو الأهداف العملية الخاصة. ومن خصائصها:

– أكبر حجماً من الأولية.

– علاقة أفرادها غير مباشرة.

– علاقاتها رسمية.

– أهدافها محددة مثل: التنظيمات، مؤسسات العمل.

ويلاحظ أنه توجد علاقات متبادلة بين الجماعات الأولية والثانوية، فالثانوية تؤثر على شكل ووظيفة الجماعات الأولية، والأولية تؤثر على الجماعات الثانوية. مثال: دور الأب في الأسرة يتأثر بدوره في العمل من حيث الدخل، ومن حيث الوقت الذي يقضيه مع أسرته. ودور الفرد كأب يؤثر على عمله خارج الأسرة، ففي حالة وجود مشكلة داخل الأسرة يتأثر عمل الفرد.

ج– المنظمات الاجتماعية:

هي عبارة عن جماعات رسمية منظمة، تتكون من أجل هدف معين، قد يكون تجارياً، دينياً، صحياً، تربوياً. ويمكن اعتبارها جماعات ثانوية. مثال: المؤسسات – الشركات – المصانع – البنوك – الجامعات – النوادي – الجمعيات الخيرية – العسكرية.

وتلعب المنظمات الاجتماعية الرسمية دوراً رئيسياً في حياتنا. مثال: جهاز البريد لكي نتواصل مع أقاربنا وأصدقائنا، وسائل الإعلام وما نحصل عليه من التعرف عن الثقافات الأخرى، المصانع وما تنتجه من غذاء وكساء.

ويمكن تعريف المنظمات على أنها جماعة ثانوية التي يمكن إنشائها بغرض إنجاز أهداف معينة من خلال أدوار وقواعد محددة بشكل واضح.

أنواع المنظمات الاجتماعية:

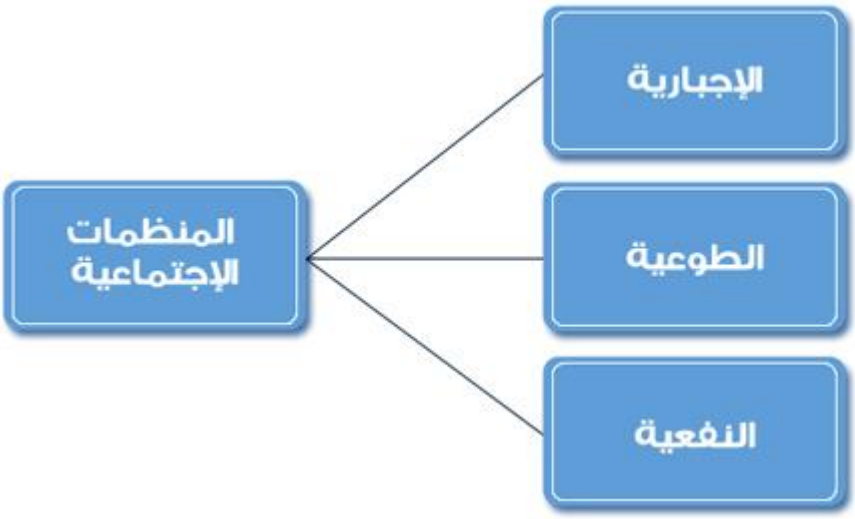

د– الجماعة المرجعية:

أول من أستخدم مصطلح الجماعة المرجعية هو هيمان. والجماعة المرجعية هي:

- التي يرجع إليها الفرد في تقييم سلوكه.
- التي يربط الفرد نفسه بها نفسياً واجتماعياً.
- الجماعة التي يلعب بها الفرد أحب الأدوار إلى نفسه وأكثرها إشباعاً لاحتياجاته.
- يتأثر سلوك الفرد بالأفراد الآخرين والجماعات التي ينتمي إليها بمعاييرها واتجاهاتها. وبهذا يعتبر الفرد الجماعة المرجعية جماعته ويعتبر معاييرها معاييره.

- تؤثر الجماعة المرجعية في السلوك من خلال تحديد أنواع السلوك: أي تحدد المعايير – السلوك الاجتماعي للفرد من حيث ما هو مقبول أو مرفوض أو حلال وحرام. وتحديد مستوى الطموح: محاولة الفرد الوصول إلى مستوى من هم أعلى منه من غنى أو شهرة أو كفاءة.

أنواع الجماعات المرجعية:

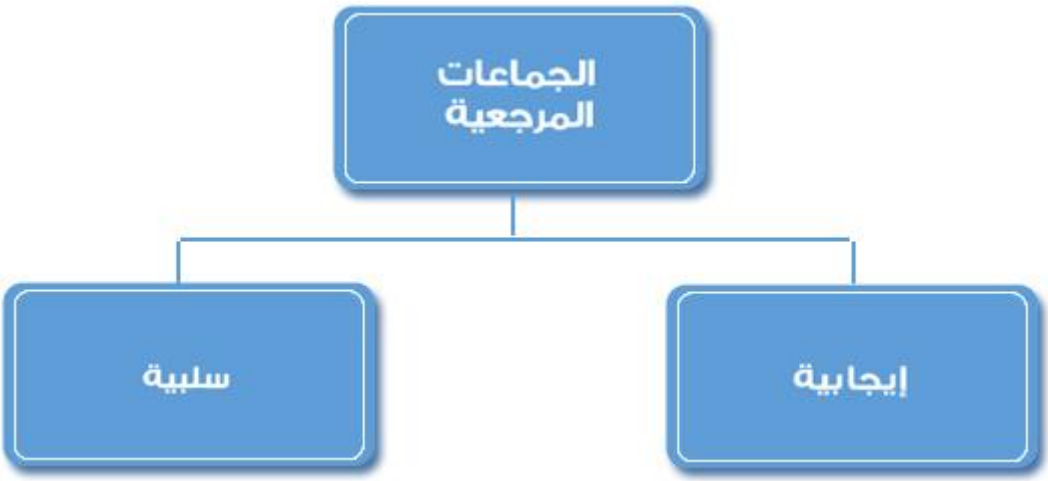

هـ– المجتمع المحلي

عبارة عن مجموعة كبيرة من الجماعات الاجتماعية من حيث درجة التعقيد، مثل القرية والبلدة وسكان الحي في المدينة، وتوجد بين الجماعات الأولية كالأسرة والجماعات الكبيرة كالمجتمع.

عرّفه روبرت ماكيفر على أنه مجموعة من الناس يعيشون في منطقة جغرافية محددة ويربطهم معاً نظام عام من القواعد التي تنظم حياتهم وتحدد الصلات بينهم.

وقد نظر ردفيلد إلى المجتمع المحلي باعتباره يحظى بأربع خصائص أو مقومات محددة، وهي: التميز وصغر الحجم والاكتفاء الذاتي والتجانس للسكان.

1– الشروط الأساسية التي يجب أن تتوفر في تكوين المجتمع المحلي:

- الاشتراك في الأهداف والمصالح ووضوحها.
- الشعور بالانتماء.
- وجود التفاعل بين الأفراد والجماعات.
- وجود نظام عام من القواعد التي تنظم حياتهم.
- تعدد العلاقات بين أفراد المجتمع المحلي على أساس العلاقات الشخصية، أو العلاقات المباشرة، الوجه للوجه، أكثر من اعتمادها على الخطابات والعلاقات الرسمية.

– تعاون قوي بين أفرادها.

تصنيف آخر للجماعات البنيوية:

ثالثا: الجماعات الاجتماعية غير البنيوية

1– الجمهرة:

صورة لتجمع قصير الأجل ومحدود الغاية، وقد يحدث بصورة عارضة أو يكون تلقائيا، ولكن استمراره لا يطول أكثر من بضع ساعات أو عدة أيام في حالات معينة. مثال: مشاهد مباراة كرة القدم – مشاهدة حادث أو موكب عرس.

سمات الحشود:

أ– الاتصال الشخصي المباشر بين الأفراد .

ب– شدة التفاعلات المتبادلة بينهم.

ت– شئ مشترك يثير الانتباه.

2– الجمهور:

حشد غير منظم إراديا وغير محدد الشكل، يتألف من أفراد تجمع بينهم أفكار ورغبات مشتركة، ورأي عام موحد، وليس بينهم اتصال مباشر، لأنهم من الكثرة العددية بحيث يتعذر على كل منهم أن يقيم علاقات شخصية بينه وبين الآخرين، مثال: وسائل الإعلام التي تنقل الأخبار العالمية للناس تلعب دور كبير في ظهور ما يعرف بالرأي العام العالمي.

3- الدهماء :

هي تجمعات غير منظمة وغير بنيوية قد تكون تلقائية أو مقصودة، وأهم خصائصها: الغوغاء – العنف – التيارات الجامحة – الأهواء الشخصية – الانفعالات – العواطف.

وقد تستغل القيادات اللاواعية والانتهازيون هذه الحشود في عمل غير مشروع: كالتخريب والتدمير والنهب والسلب. وفي كثير من الظروف تنشأ الغوغاء نتيجة لتطور الشعور الجماعي، وتتغير بعض المواقف، مثال: عند عرض فيلم سينمائي يثور جمهور المتفرجين لرؤية مشهد يتعارض مع قيمه الأخلاقية فتتعالى صيحاته ولعناته، فيضطرب النظام في السينما وينقلب جمهور المتفرجين إلى غوغاء.

4- مجموعة الموضة والتقليعات والصراعات:

يمكن أن تظهر في أي مظهر من مظاهر الحياة فقد تكون في الفكر والفنون والملابس.

- الدافع منه الانتماء للتميز.
- تلعب وسائل الإعلام دوراً مهما في ذلك.
- تختلف تجمعات الموضة والتقاليع والصراعات من حيث الاستمرارية الزمنية والانتشار. فتجمعات الموضة تستمر أكثر من مجموعات التقليعات.
- الأساس هنا أن الإنسان يفقد تفرده أو اختياراته الفردية ويتبع ما أخذت به الجماعة سواء كان مناسباً له أو غير ذلك.

رابعا: العلاقات الاجتماعية في الجماعات

يؤكد علماء الاجتماع على أن المجتمعات الإنسانية مكونة في كل مكان من جماعات عديدة صغيرة كانت أو كبيرة، رسمية أو غير رسمية، داخلية أو خارجية. ويميز البعض بين الجماعات المستغرقة والجماعات الاختيارية، ففي الجماعات الأولى تكون العضوية فيها من النوع الذي لا يسمح للفرد بالعضوية في جماعة أخرى، وذلك مثل الطوائف الهندية. أما الجماعات الاختيارية، فهي التي تكون العضوية في أحدها شاملة أو يمكن أن تشتمل عضويات من جماعات أخرى وتنقسم إلى نوعين، هما:

- حين يكون الأعضاء في الجماعة الواحدة متضامنين متعاونين في الجماعة الكبرى (المجتمع المحلي).
- اللااستغراقي: لا تؤهل العضوية في جماعة ولا تمنع في نفس الوقت العضوية في جماعة أخرى (نظام النوادي).

1– تماسك الجماعة

تتعدد معاني تماسك الجماعة، فنجده يتضمن:

– شعور الأفراد بانتمائهم إلى الجماعة والولاء لها.

– تمسكهم بعضويتهم ومعاييرها.

– عملهم في سبيل هدف مشترك.

– استعدادهم لتحمل مسئولية عمل الجماعة والدفاع عنها.

– الروح المعنوية والإنتاج والعمل الجماعي بروح الفريق.

– الاندماج في العمل والتكامل.

– يشير التماسك الاجتماعي عامة إلى جاذبية الجماعة لأعضائها.

2– العوامل التي تؤدي إلى تماسك الجماعة

–الجماعة نفسها: جاذبية أفراد الجماعة، توفيرها للأنشطة المحببة، سلامة معاييرها، تحقيق الجماعة للأهداف المحددة لها.

– الجماعة كوسيلة لإشباع حاجات خارج الجماعة كاكتساب المكانة والشعور بالأمن.

– الانضمام الاختياري للجماعة.

– زيادة التفاعل بين أفرادها.

– سهولة اتصال الأفراد مع بعضهم البعض.

– اتفاق معايير الجماعة مع معايير الفرد.

3– العمليات الأساسية التي تساعد على بقاء الجماعة

– تتفاوت أشكال العلاقات بين أعضاء الجماعات لتشمل عمليات اجتماعية أساسية، تمتد من عمليات التعاون والتنافس والصراع، وعمليات أخرى تشمل التوافق والتمثيل والتبادل والإكراه.

– تتمثل العمليات الأساسية الثلاث في التعاون والتنافس والصراع.

أ– عملية التعاون

– تساعد على بقاء الجماعة و النظام.

– توجد على جميع مستويات العلاقات الاجتماعية.

– تشترك فيها أطراف الجماعة لتحقيق أهداف مشتركة.

ب– عملية التنافس

– عندما يحاول طرفان أو أكثر الحصول على شيء نادر له قيمة، أو الفوز بأكبر قدر منه.

– المجتمع يضع في حالة التنافس معايير يحدد فيها مجالات وطرق التنافس.

ج– عملية الصراع

–كفاح عدائي بين طرفين أو أكثر حول موضوع له قيمة، وليس من الضروري أن يكون العنف دائما إحدى سماته، وإن كان يحتوي غالبا على محاولة القضاء على الطرف الأخر.

– ينشأ الصراع عادة عندما تتعارض المصالح التنافسية فتنقلب المنافسة إلى صراع.

– العمليات الثلاث متداخلة وقد تتحول إحداها إلى الأخرى فقد ينتهي التنافس إلى صراع ويمكن أن يتحول الصراع إلى تعاون والعكس.

4– الاتصال والتفاعل(ديناميات الجماعة)

– تتسم الجماعة بأنها كل دينامي، ويعني أن التفاعل والاتصال الذي يؤدي إلى التغير في جزء من أجزاء الجماعة يؤدي إلى تغير في أي جزء آخر.

– لا يمكن أن يكون فردين أو جماعتين (نفس الشئ) بعد حدوث التفاعل.

– من مظاهر ديناميات الجماعة: التفاعل الاجتماعي والتكامل الاجتماعي والعلاقات الإنسانية والتغير الاجتماعي وغيرها.

– تحقق الجماعة لأفرادها عديداً من الأهداف والمصالح.

– تكسب الجماعة أفرادها العديد من المهارات والخبرات.

– يؤدي انضمام الفرد إلى الجماعة إلى زيادة الانتاج وسرعة معدله.

– يميل الأفراد لتعديل آرائهم ومعتقداتهم تبعا للمعتقدات والآراء السائدة في الجماعة.

– تساهم القرارات الجماعية في تغيير سلوك الأفراد بشكل أكثر وضوحا من القرارات الفردية.

–مشاركة الأفراد في القرارات الخاصة بالجماعة تزيد من درجة التزام الأعضاء بمعايير هذه الجماعة مما يؤدي إلى تماسكها.

قائمة المراجع المعتمدة:

1. صلاح العبد، **علم الاجتماع التطبيقي**، (القاهرة: دار التعاون للنشر والطبع)، 1972.
2. صلاح مصطفى الفوال، **منهجية العلوم الاجتماعية**، (القاهرة: دار الهنا للطباعة)، 1982.
3. عاطف غيث، **علم الاجتماع**، ج1، (الاسكندرية، دار الكتب الجامعية)، 1973.
4. عبد الله الهادي الجوهري، **أصول علم الاجتماع**، (الإسكندرية: المكتبة الجامعية)، 2001.
5. عبد الله محمد عبد الرحمان، **علم الاجتماع النشأة والتطور**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية)، 2003.
6. عبد الله محمد عبد الرحمان، **علم الاجتماع الاقتصادي**، ج1، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية)، 1994.
7. محمد أحمد بيومي، **أسس وموضوعات علم الاجتماع**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية)، 2004.
8. محمد محمود الجوهري، **المدخل إلى علم الاجتماع**، (عمان: دار المسيرة)، 2015.
9. أنتوني غيدنز، **علم الاجتماع**، الطبعة الأولى، ترجمة فايز الصياغ، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية)، 2005.
10. جون سكوت، **علم الاجتماع، المفاهيم الأساسية**، ترجمة محمد عثمان، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر)، 2009.
11. عبد الغني مغربي، **الفكر الاجتماعي عند بن خلدون**،ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية)، 1988.
12. ساطع الحصري، **دراسات عن مقدمة بن خلدون**، الجزء 2، (بيروت: مطبعة الكشاف)، 1943.
13. جميل حمداوي، **نظريات علم الاجتماع**، (عمان: مؤسسة الوراق للتوزيع والنشر)، 2015.
14. خليل احمد خليل، **مفاهيم أساسية في علم الاجتماع**، الطبعة الاولى، (بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع)، 1984.
15. ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، الطبعة الأولى (دار يعرب)، 2004.
16. محمد حامد يوسف، **علم الاجتماع: النشأة والمجالات**، (الإسكندرية: المكتب العلمي للنشر والتوزيع)، 1995.

17. عبد الله إبراهيم: **علم الاجتماع (السوسيولوجيا)**، الطبعة الثالثة، (بيروت: المركز الثقافي العربي)، 2010.

18. أحمد الخشاب: **التفكير الاجتماعي: دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية**، (بيروت: دار النهضة العربية)، 1981.

19. نبيل السمالوطي: **الإيديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر: دراسة تحليلية للمشكلات النظرية والمنهجية**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 1975م.